سلسلة

رَوْضُ الأَلْبَابِ.. وَسَمِيرُ الأَحْبَابِ

(العدد الأول)

الدكتور

صالح بن مطر الهطالي

سلسلة
رَوضُ الأَلبابِ.. وسَمِيرُ الأَحبابِ
(العدد الأول)

د. صالح بن مطر الهطالي

www.alhatali.com

بريد إلكتروني: saleh@alhatali.com

تويتر: @smalhatali

جميع الحقوق محفوظة وسجلة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

رؤى

واتساب: ٩٧٥٤٩٢٢٣

ruaadar@gmial.com

تويتر: @ruaadar

تنفيذ طباعي

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان / بئر العبد - هاتف: ٠٠٩٦١ ٣ ٤١٣٢٥٦

موبايل: ٠٠٩٦١ ٣ ٩٠٢٩٤٤

E-mail: dar.alkari2012@gmail.com

بغداد - العراق / شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا

موبايل: ٠٧٧٢٢٢٩٧١٢١

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة لدى:

مركز غاية المراد للصوتيات والمرئيات

سلطنة عمان - نزوى

هاتف رقم: ٢٥٤١٠٨٧٣ - فاكس رقم: ٢٥٤١١١٩١

هاتف الإدارة: ٩٨٩٩٩٨٣

E-mail: ghayatalmurad@gmail.com

مكتبة وتسجيلات غاية المراد

مكتبة غاية المراد

GHAYAT AL MURAD BOOKSHOP

مكتبة السيدة فاطمة الزهراء

هاتف: 92908620

25434506 92988061

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٧
التوحيد والعقيدة	٩
آية وتفسير	١٣
حديث نبوي	١٥
إيمانيات	٢١
دعاء	٢٤
حكمة	٢٥
غزوات ومعارك	٢٦
شؤون أُسْرية	٣٤
كُن سعيدًا	٣٦
من روائع الأدب العربي	٣٧
السيرة النبوية	٤٠
رأي	٤١
زاد طالب العلم	٤٢
عجائب وغرائب	٤٤

العنوان	الصفحة
شؤون صحية	٤٦
التاريخ والسِّيَر	٤٨
شباب وفتيات	٥٠
صدِّق أو لا تُصدِّق	٥٣
من لطائف الشعر	٥٤
شؤون سياسية	٥٨
فتوىٰ شرعية	٦٠
عظماء ومشاهير	٦١
فنون الدعوة إلىٰ الله	٦٣
شخصية العدد	٧٢
طريقك إلىٰ النجاح	٨٨
مسابقات وألغاز	٨٩
عِبْرة وعِظَة	٩٢
صهيونية وصليبية	٩٥
أفلاك ومجرات	١٠٠
قصة وعبرة	١٠٤
أقوال مشهورة	١٠٧

العنوان	الصفحة
كلمات ومعانٍ	١٠٩
غذاء العقول	١١١
أمثال مشهورة	١١٣
ثقافة عامة	١١٤
مقال صحفي	١١٧
الإجابات	١٢٢
المراجع	١٢٧

مقدمة

بسم الله العليم الحليم، باعثِ الرسلِ ومُنزِّل الكُتبِ، القائل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦]. أحمده ﷻ المتفرِّد بالجلال والسلطان، وأستعينه- ذي الملك والملكوت- المُنعِم بالفضل والإحسان، وأشهد أن لا إله إلا هو ذو الحَوْلِ والطَّوْلِ، وأصلي وأسلِّم علىٰ مَن اختاره هداية للعالمين، ونورًا للمتقين، وسراجًا منيرًا للسالكين، فصلواتُ ربي وسلامه عليه في الأولين والآخِرين، وعلىٰ كل مَن سار سَيْرَه، واقتفىٰ أثرَه، ورعىٰ أُمَّتَه، وأعانَ أتباعه إلىٰ يوم الدين.

أما بعد،،،

فتعوَّدتُ عندما أقرأ كتابًا أو مقالًا أن ألتقط بعض ما فيها من جواهر نفيسة، ثم أقوم بتصنيفها حسب موضوعها، ومع ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، صارت المعلومات تأتيني إلىٰ حاسوبي وهاتفي، وصرتُ أنتقي منها ما فيه خيرٌ ومنفعة وأحتفظ به، وبمرور السنوات تجمَّع لديَّ كمٌّ لا بأس به من تلك المواضيع، فأحببتُ جمعَها في سلسلة كُتيِّبات صغيرة الحجم، قليلة الصفحات، ليسهُل علىٰ مُحبِّي العلم والمعرفة الاستفادة منها، وأسميتُ السلسلة «رَوْضُ الأَلْبَابِ.. وَسَمِيرُ الأَحْبَابِ»، لعلَّها تُعين القلوب والعقول علىٰ تحصيل ما فيه منفعة لها، ولتكون في متناول الشباب والفتيات وبقية أفراد الأسرة، يتسامرون بقراءتها، ويرتشفون من معينها.

وقد اجتهدتُ في تنقيح مواضيعها، وردِّها إلىٰ أصلها، وتوثيق مصدرها متىٰ ما أمكنني ذلك، وجعلتُ لها أبوابًا عامة ثابتة في جميع أجزائها، وقدَّرتُ في ترتيب أبوابها المتعة وعدم السَّأَم من قراءتها، وأسأل الله المغفرة فيما غفلتُ عنه، أو لم يتَّسع لإدراكه فهمي وعلمي، أو لتصويبه وقتي وجهدي، وإني لأشكر كلَّ مَن تفضَّل عليَّ بملاحظاته وتصحيحاته، وأخصُّ منهم الأساتذة الأفذاذ الكرام في مؤسسة التواصل الجزائرية بغرداية، وكذلك أستاذ العربية الفاضل/ خالد بن هلال بن ناصر العبري، فلهم من الله الجزاء الأوفىٰ، والعاقبة في الآخرة والأولىٰ، ولهم مني عاطر الثناء وعظيم الشكر والامتنان.

وأسأل الله العليَّ في علاه، الحكيمَ في أحكامه، أن يُنزِل شآبيب الرحمة والمغفرة علىٰ كاتبي هذه المعلومات من المسلمين، وجامعي هذه الوريقات ومراجعيها وقارئيها، وأن تكون لنا جميعًا قربة لنيل رضاه ﷻ، وعونًا لبلوغ مدارج رضوانه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلِّم علىٰ محمد وآله وأتباعه إلىٰ يوم البعث والنشور.

صالح بن مطر بن محمد الهطالي

٤ من ربيع الثاني لعام ١٤٤٣ هـ

٩ من نوفمبر لعام ٢٠٢١ م

التوحيدُ والعقيدةُ

يقول الدكتور محمد بن عبد الله الأنصاري في كتابه «الأسس التربوية في ضوء القرآن الكريم»[1]:

«إن الفطرة في الإنسان مع تبايُن العقائد، وتعتيم البيئات لضمير أجيالها محدِّثةً عن نفسها، مؤكِّدةً وجودها، شاهدة بأن لها توجُّهًا واحدًا لا ثاني له، وأن ملجأها في الشدائد وملاذها في الكربات إلهٌ لا شريك له، قادرٌ مقتدرٌ يُدعىٰ في الليل والنهار، في البحر والجوِّ والبر؛ لأنه وحده الذي يملك هذا الكون بمَن فيه وما فيه، ويُصرِّفه وفق إرادته.

والتدبُّر في آيات العنكبوت وغيرها أعظم دليل علىٰ معرفة الفطرة لبارئها، وأن الإنكار ما هو إلا أثرٌ من آثار بيئات السوء، وهو مع سيطرته غير قادرٍ علىٰ إطفاء ذلك النور الإلهي نور الفطرة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ

(١) الأسس التربوية، الأنصاري، ص ٣٧١.

﴿ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٥].

إن الآيات الساطعة، والبراهين القاطعة الدالة على الله لا تُنكرها الفطرة، ولا يأباها العقل البعيد عن العبث البريئ من التلوُّث، وذلك قائمٌ في كل عصر، ثابتٌ في كل بيئة، وإن تناهت في الضلال، صادرٌ عن الإنسان، وإن لم يُحسِن التعبير عنه، ولم يُتح للسانه أن يشرُف به.

إن راكب البحر مع تطوُّر العصر، وتنوُّع مُعطيات العلم حين يحوطه الخطر، ويتمكَّن منه الخوف، ويرى الضياع رأي العين يتطلَّع إلى مُنقِذ، يُحسُّ من أعماقه أنه وحده القادر على ذلك، تنطُق بذلك حاله، وإن عجز لسانه، وشُلَّ منطقه، وراكب الجوِّ إذا اضطرب ميزان الحياة، وعجزت القوى عن تدبير وسائل النجاة، وتألَّق شَبَحُ الموت ألا تنطقُ بالرجاء حال القائد والمَقُود؟ ألا يبرأ الجميع من حولهم وقوتهم؟ فبأيِّ قوة يستغيثون؟ أليس شأنهم ما قال الله تعالى فيه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل: ٧٩]؟

وهذه القلوب المترقِّبة للشفاء، الطامعة في عودة العافية، المُلِحَّة في طلب السلامة، مؤمنة أو كافرة، هي ومَن حولها ممَّن ترجو هذا؟ وفيمَن تأمله؟ أفي الطبيب، وقد يكون هو مريضًا عاجزًا عن

شفاء نفسه؟ إنها تتَّجه إلىٰ مَن قال عنه إبراهيم ﷺ كما حكىٰ الله في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء:٨٠].

فهو وحده الذي يُيسِّر الدواء إذا أراد، ويجعل العافية تسري في أوصال مَن يئس من العيش، وملَّ البقاء، إن الفطرة تعرف مسارها الصحيح، وتُدرك أنَّىٰ تُلقي بأحمالها، وإنْ زيَّف الضلالُ العقولَ، وأفسد التوجُّهات، وصدق الله تعالىٰ إذ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

إن الفطرة التي استيقظت في الشدة، واستفاقت وصحَّحت مسارَها عند نزول البلاء لا تلبث مؤثِّرات السوء أن تلوي زمامها بعد رفع البلاء، وتُعمي عليها، وتقهرها فيطفو الطغيان، ويقود الضلال، ويكون الكفر والضياع، يقول ربنا جلَّ وعلا عقب الآية السابقة: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[يونس:٢٣].

الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي ذلك الشعور الذاتي الذي ينبع من أعماق النفس [أن] لهذا الوجود إلهًا واحدًا يُسيطر علىٰ كل شيء، ويُدبِّر بمشيئته كل أمر.

وقد سُئل الإمام جعفر الصادق[١] عن (الله) فقال: ألم تركب البحر؟ قال: بلىٰ، قال: فهل حدث لك مرة أن هاجت بك الريح عاصفة؟ قال: نعم، قال: وانقطع أملُك من الملاحين ووسائل النجاة؟ قال: نعم، قال: فهل خطر ببالك، وانقدح في نفسك أن هناك مَن يستطيع أن يُنجيك إن شاء؟ قال: نعم، قال جعفر: فذلك هو (الله). إن تلك المحاورة العقلية استنطقت الفطرة، واستهلكت الفكرة السليمة، فكان الوصول إلىٰ الحق ميسورًا، وعملت الفطرة عملها، وأقرَّت ما طُبِعتْ عليه».

(١) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، ولد في المدينة المنورة في عام ٨٠ هـ، وتوفي فيها في عام ١٤٨ هـ، إمام من أئمة المسلمين وعالمٌ جليلٌ وعابدٌ فاضلٌ، من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب، وله مكانة جليلة عظيمة لدىٰ جميع المسلمين.

آيةٌ وتفسيرٌ

يقول الدكتور راغب السرجاني في كتابه «إلا تنصروه»[١]:

«هناك آياتٌ كثيرة جدًّا تحدَّثت عن الهجرة، لكنَّ آية واحدة تحدَّثت عن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلىٰ المدينة، بدأها الله ﷻ بقوله:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤٠].

هذه الآية تُوضِّح أن النصر بيد الله ﷻ، وأنه ﷻ لا يحتاج من المؤمنين نصرة ولا مساعدة، حاشا مَن بيده مقاليد السموات والأرض، يقول للشيء كن فيكون، هو الذي نصر نَبِيّه ﷺ، وهو الذي أخرجه من مأزق تلو مأزق حتىٰ وصل إلىٰ المدينة المنورة، لكن هناك رسالة هامة جدًّا بداخل هذه الآية: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾، والنداء للمؤمنين أن ينصروا الحبيب ﷺ، وما أحسب أن هذا النداء موجَّه إلىٰ صحابة الحبيب ﷺ؛ فإنهم

(١) إلا تنصروه، السرجاني، ص ٤.

في هذا الحادث بالذات- في الهجرة- نصروه قَدْر استطاعتهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وما قصَّر منهم واحد، سواءٌ الذين اشتركوا في عملية تسهيل هجرة المصطفىٰ ﷺ من مكة إلىٰ المدينة، أو أولئك الذين استقبلوه في المدينة- الأنصار- رضي الله عنهم وأرضاهم، كُلٌّ أدَّىٰ ما عليه.

الآية والأمر الذي فيها مُوَجَّه لنا، موجَّه إلىٰ أمة الحبيب ﷺ منذ نزول هذه الآيات وإلىٰ يوم القيامة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، ونحن الذين نستفيد من نصرة الحبيب ﷺ، والله ﷻ لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، نحن الذين نستفيد، الأمر لنا، الفائدة تعود علينا ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، والله ﷻ نصره بالفعل، وإن تَخَلَّىٰ المسلمون عن نصرة الحبيب ﷺ فإن الله ﷻ يستبدُل بهم غيرهم، ويأتي ﷺ بقوم آخرين قادرين علىٰ نصرة الحبيب ﷺ، وقادرين علىٰ عِزَّة الإسلام، ورفع راية المسلمين، والتمكين والسيادة والعلُوِّ لهذا الدين العظيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠]».

حديثٌ نبويٌّ

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ))[١].

شرح الحديث[٢]

يُوقِنُ العبدُ المؤمنُ أن الأمورَ كلها بيد الله ﷻ ومشيئتِه، ولكن هذا اليقين قد يتزعزع ويضعُف عند وقوع البلايا والمحن، فإذا علم العبد أن الجزاء يَعْظُم علىٰ قَدْرِ عِظَم البلاء، وأن ذلك علامةٌ علىٰ حب الله تعالىٰ للعبد، فلن يتزعزع ذلك اليقين أبدًا.

وهذا الحديث العظيم الذي هو من جوامع كلم النبي ﷺ، يحثُّ علىٰ الصبر والرضا بما يُقدِّره الله جلَّ وعلا من البلاء، وفيه ترضيةٌ للمصابين، وتخفيفٌ عن المبتَلين، وتسليةٌ للصابرين؛ حيث يُقرر فيه النبي ﷺ أنه كلما عظُم البلاء عظُم الجزاء، فالبلاء

(١) سنن الترمذي (حديث رقم: ٢٣٩٦، ج ٤، ص ٦٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، موقع إسلام ويب، تاريخ النشر: ١٢/ ٣/ ٢٠١٢م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://www.islamweb.net/ar/article/175567/

السهل له أجرٌ يسيرٌ، والبلاء الشديد له أجرٌ كبيرٌ، وهذا من فضل الله جلَّ وعلا علىٰ عباده، أنه إذا ابتلاهم بالشدائد أعطاهم عليها الأجرَ الكبير، وإذا هانتْ المصائب هانَ الأجرُ، كما أن نزول المصائب والبلايا بالإنسان دليلٌ علىٰ حب الله له، فإذا رضيَ الإنسانُ وصبرَ واحتسبَ فله الرضىٰ، وإن سخِط فله السُّخط، وفي هذا حثٌّ علىٰ الصبر علىٰ المصائب، حتىٰ يُكتب للعبد رضا الله جلَّ وعلا[1].

عِظَمُ الجزاء مع عِظَمِ البلاء

لا بُدَّ لكل إنسان من بلوىٰ، فمبتلًىٰ في سبيل الشيطان، ومبتلًىٰ في سبيل الله، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء:١٠٤]، والصبر سببٌ لرفع الدرجات وتكفير السيئات[2]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) قد يفهم القارئ أن ما ورد هنا من أنَّ الأجر العظيم لا يتحقّق إلا بوجودِ بلايا كثيرة، وأنَّ حبَّ الله له هو بقدرِ معاناتِه، وأن عدم تعرّضِه للبلايا دليلٌ علىٰ ادِّخارِها له لعذاب الآخرة، وهذا غير صحيح؛ فإن الكلام هنا هو لتبيان مدىٰ صبر المؤمن للبلايا التي قد يختبر الله بها قوة إيمانه.

(٢) تكفير السيئات بالبلاء أمرٌ يحتاج إلىٰ توضيح؛ فالبلاء لا يُزيل الذنب بمعنىٰ يمحيه ويغفره، لأن ذلك لا يكون إلا بالتوبة، والمفهوم الصحيح أن البلاء وسيلة كغيرها من الوسائل- كالدعاء والصدقات- التي يبتغي بها الإنسان بعد توبته النصوح مغفرةَ الذنوب.

﴿ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠]، وقال سليمان بن القاسم[١]: «كلُّ عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر»، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا))[٢].

ويقول الشاعر:

والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ

فإذا عَلِم العبدُ أن ذلك المرض أو البلاء سيكون سببًا في رفعة درجته وزيادة ثوابه، هانَ عليه ما يجده من مشقة وعناء وألم، وصار راضيًا بقضاء الله تعالىٰ وقَدَره، محتسبًا أجرَه عند الله جلَّ وعلا.

إذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم[٣]

قد يظنُّ البعض أن نزولَ البلاء علامةٌ علىٰ غضب الله تعالىٰ

(١) سليمان بن القاسم بن عبد الرحمن مولىٰ قريش، ثم مولًىٰ لبني سهم. روىٰ عنه عبد الله بن وهب وغيره، وكان من العابدين الزهاد. توفي سنة ١٦٣ هجرية. انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج ٨، ص ٢٦٧.

(٢) صحيح البخاري (حديث رقم: ٥٦٤٨، ج ٧، ص ١١٥).

(٣) قد يُفهَم من العنوان أن حبَّ الله متعلِّقٌ بابتلائه للعبد، وأن الذي لم يَبْتَلِه الله تعالىٰ لا يحبه، والحقيقة أن القرآن الكريم هو أكثر مَن تكلَّم في موضوع الابتلاء فقهًا وسُننًا ووصفًا وأمثلة، ورغم ذلك لا نجد اجتماع كلمة الحب ومرادفاتها مع

علىٰ العبد، ولكن النبي ﷺ نفىٰ ذلك، وجعل البلاء علامة علىٰ حُبِّ الله تعالىٰ للمؤمن، بل هو خيرٌ للمؤمن من أن يُدَّخر له العقاب في الآخرة، يقول النبي ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ))[(١)].

وقال الحسن البصري: «لا تكرهوا البلايا الواقعة والنقمات الحادثة، فَلَرُبَّ أمرٍ تكرهُه فيه نجاتُك، ولَرُبَّ أمرٍ تُؤثِرُه فيه

الابتلاء. إن الابتلاء هو امتحانٌ بعيدٌ عن الأحكام العاطفية، والنتيجة لا تُحسم إلا في اليوم الآخر.

(١) سنن الترمذي (حديث رقم: ٢٣٩٦، ج ٤، ص ٦٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني.

ومعنىٰ الحديث هو أن العقوبة تُكَفِّر السيئات، فإذا تعجَّلت العقوبة وكفَّر الله بها عن العبد، فإنه يوافي الله وليس عليه ذنب، قد طهرته المصائب والبلايا، حتىٰ إنه ليُشدَّد علىٰ الإنسان موته؛ لبقاء سيئة أو سيئتين عليه، حتىٰ يخرج من الدنيا نقيًّا من الذنوب، وهذه نعمة؛ لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، لكن إذا أراد الله بعبده الشر أمهل له واستدرجه، وأدَرَّ عليه النعم ودفع عنه النقم حتىٰ يبطر – والعياذ بالله – ويفرح فرحًا مذمومًا بما أنعم الله به عليه، وحينئذ يلاقي ربه وهو مغمور بسيئاته فيعاقب بها في الآخرة، نسأل الله العافية، فإذا رأيتَ شخصًا يبارز الله بالعصيان وقد وقاه الله البلاء وأدَرَّ عليه النعم، فاعلم أن الله إنما أراد به شرًّا؛ لأن الله أخَّر عنه العقوبة حتىٰ يوافي بها يوم القيامة، وانظر إذا شِئتَ قوله ﷻ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق:١٧]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٢-١٨٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

عَطَبُك» أي: هلاكك، وقال الفضل بن سهل: «إنَّ في العِلَل لَنِعَمًا لا ينبغي للعاقل أن يجهلها، فهي تمحيصٌ للذنوب، وتَعَرُّضٌ لثوابِ الصبر، وإيقاظٌ من الغفلة، وتذكيرٌ بالنعمة في حال الصحة، واستدعاءٌ للتوبة، وحضٌّ علىٰ الصدقة».

والمؤمن يبحث في البلاء عن الأجر، ولا سبيل إليه إلا بالصبر، ولا سبيل إلىٰ الصبر إلا بعزيمةٍ إيمانيةٍ وإرادةٍ قوية، وليتذكر قول الرسول ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[1].

فمَنْ رضيَ فَلَهُ الرضا

المقصود من الحديث الحثُّ علىٰ الصبر علىٰ البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه. يقول الإمام السندي: «قوله ((فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا)) أي رضا الله تعالىٰ عنه، جزاءً لرضاه، أو فله جزاءُ رضاه، وكذا قوله ((فَلَهُ السَّخَطُ))، ثم الظاهر أنه تفصيل لمطلق المبتَلَيْن لا لمن أحبَّهم فابتلاهم؛ إذ الظاهر أنه تعالىٰ يوفقهم للرضا فلا يسخط منهم أحد».

ولذا ينبغي للمسلم إذا أصابته مصيبة أن يسترجع [أي يقول إنا

(١) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٩٩٩، ج ٤، ص ٢٢٩٥) من حديث صهيب رضي الله عنه.

لله وإنا إليه راجعون] ويدعو بما ورد، وما أجمل تلك اللحظات التي يفرُّ فيها العبد إلىٰ ربه تعالىٰ، ويعلم أنه وحده مُفرِّج الكُرَب، وما أعظم الفرحة إذا نزل الفرج بعد الشدة، قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

إيمانيَّاتٌ

يقول الدكتور محمد عمر دولة في كتابه «أشجانُ الموتِ وأشواقُ الشهادة»[1] مع بعض التصرُّف:

«إن أعداءنا، وإن كانوا يسفكون دماء المسلمين، ويُقتِّلون المستضعفين في كلِّ مكان، إلا أنهم من أشدِّ الناس كراهيةً للموت، كما تحدّاهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٩٤-٩٥].

وأما المسلمون فإن بواعثَ الإيمانِ فيهم تُشوِّقهم إلىٰ الجنّة؛ فيرجون ما عند الله، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾[النساء:١٠٤].

وقد بيّن النبي ﷺ في حديث ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ

(١) أشجان الموت، دولة، ص ٧.

لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ)) عندما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، فقال: ((لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ))[1].

إن المؤمنُ يحرص علىٰ الموت في سبيل الله؛ لما يعلمه من كرامة الشهداء؛ فتراه إذا نال الشهادة هتف: «فُزْتُ وربِّ الكعبة»! وقد قصَّ علينا القرآن في شأنِ أصحابِ النبي ﷺ قصصًا عظيمةً، وأثنىٰ علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة:٩٢]، فقد روىٰ البخاري في (الجهاد) باب (تمنّي الشهادة) حديث النبي ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ))[2].

فمن حماقة أعدائنا الأشقياء أنهم يُهدِّدون المسلمين بأحبِّ الأشياء إلىٰ نفوسهم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٦٥٠٧، ج ٨، ص ١٠٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (حديث رقم: ٢٧٩٧، ج ٤، ص ١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة:٥٢]، فالمسلم قد باع روحه خالصةً لله، كما قال الله ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١]، فشعارُ المسلمِ قولُ خُبَيْب بن عديٍّ[1]:

فلستُ أُبالي حين أُقتَلُ مسلمًا ... علىٰ أيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرعي

وَذَٰلِكَ في ذاتِ الإلهِ وإن يشأْ ... يُبارِكْ علىٰ أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٧٤٠٢، ج ٩، ص ١٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دُعاءٌ

توجَّه رسول الله ﷺ إلىٰ الطائف مع حِبِّه زيد بن حارثة رضي الله عنه لدعوة أهلها إلىٰ الإسلام، فلم يجد منهم إلا الرفض، بل إنهم حرَّضوا عليه سفهاءهم وعبيدهم، فرمَوْه بالحجارة، حتىٰ سال الدم من قدميه الشريفتين، وفي طريق عودته منها، توقَّف ﷺ في وادي نخلة، وأخذ يناجي ربه قائلًا:

((اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي، إِلَىٰ عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَىٰ قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ))[1].

(١) الدعاء للطبراني (حديث رقم: ١٠٣٦، ص ٣١٥) من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه.

حِكمَةٌ

✓ مـن الممكـن أن تشـتري بالمـال بيتًـا، ولكنـك لا تسـتطيع أن تشـتري بـه وطنًـا.

✓ مـن الممكـن أن تشـتري بالمـال سـاعة، ولكنـك لا تسـتطيع أن تشـتري بـه زمنًـا.

✓ مـن الممكـن أن تشـتري بالمـال منصبًـا، ولكنـك لا تسـتطيع أن تشـتري بـه احترامًـا.

✓ مـن الممكـن أن تشـتري بالمـال سـريرًا، ولكنـك لا تسـتطيع أن تشـتري بـه نومًـا.

✓ مـن الممكـن أن تشـتري بالمـال دواءً، ولكنـك لا تسـتطيع أن تشـتري بـه عافيـةً.

غزواتٌ ومعاركُ

(غزوة ذات الرِّقاع[١])

وقعت غزوة ذات الرقاع في شهر ربيع الأول سنة ٧هـ، أي فور رجوع المسلمين من فتح خيبر؛ فهي حركة دائبة من الجهاد في سبيل الله، وبعض كُتّاب السِّيَر يضعون غزوة ذات الرقاع في أحداث السنة الرابعة، وهذا لا يستقيم؛ لأن أبا موسىٰ الأشعري- كما ثبت في صحيح البخاري- شارك في غزوة ذات الرقاع، وأبو موسىٰ بالاتفاق لم يأتِ إلىٰ المدينة المنورة إلا في العام السابع من الهجرة مع قدوم جعفر بن أبي طالب إلىٰ المدينة المنورة، أي جاء بعد فتح خيبر، ولذلك بات من المؤكَّد أن غزوة ذات الرقاع وقعت في السنة السابعة من الهجرة.

كانت هذه الغزوة موجَّهة إلىٰ قبائل غطفان، التي حاصرت المدينة المنورة في غزوة الأحزاب، وأرادوا أن يساعدوا اليهود في خيبر، وكانوا يُعِدُّون العُدَّة لغزو المدينة المنورة، فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام إليهم سرية وهو يفتح خيبر، فأرادوا إعادة

(١) غزوة ذات الرقاع، السرجاني، نُشِر علىٰ موقع قصة الإسلام بتاريخ ١٧/ ٤/ ٢٠١٠م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي، مع بعض التصرُّف:
https://islamstory.com/ar/artical/173/غزوة-ذات-الرقاع

غزو المدينة المنورة من جديد؛ ولذا كان علىٰ الرسول ﷺ أن يقف وقفة جادة ومخوفة، ويخرج إليهم بنفسه بدلًا من أن ينتظرهم في المدينة المنورة؛ حتىٰ لا يُؤخَذ انطباعٌ عن المسلمين أنهم يخافون من غطفان، ولا يجرؤون علىٰ مواجهة مباشرة معهم.

الجيش الإسلامي يصل إلى أرض غطفان

خرج النبي القائد ﷺ بنفسه إلىٰ ديار غطفان، وكانت جيوش المسلمين في ذلك الوقت موزَّعة في أماكن متفرقة؛ فهناك جيوش بداخل المدينة المنورة، وهناك جيوش في خيبر، وفي وادي القرىٰ، وفي فدك، وفي تيماء، وفي غيرها من الأماكن الملتهبة في ذلك الوقت، والرسول المحنَّك صلوات ربي وسلامه عليه لا يأمن أن يترك المدينة المنورة بلا جيش، ولا يأمن كذلك غدر قريش، وقبائل غطفان نفسها قد تدخل المدينة المنورة من هنا أو هناك، أمور كثيرة جعلت من الضروري أن يترك المسلمون حامية داخل المدينة المنورة.

لذلك خرج الرسول ﷺ في جيش صغير نسبيًّا قوامه تقريبًا أربعمائة من الصحابة، وفي بعض الروايات أنهم سبعمائة، ولم يكن معهم من البعير إلا القليل، لدرجة أن الستة من الصحابة كانوا يتناوبون ركوب البعير الواحد، وسار الرسول الحبيب مسافة كبيرة بجيشه في عُمْق الصحراء، وتوغَّل حتىٰ بلغ ديار

غطفان، وهي إلىٰ الشمال الشرقي من المدينة المنورة علىٰ مسافة عدة ليالٍ من المدينة المنورة، وهذه المسافة كبيرة جدًّا، والصحابة يسيرون علىٰ أقدامهم، وقد أثَّر ذلك فيهم أجمعين، ويروي أبو موسىٰ الأشعري فيقول: ((خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ فِي غَزْوَةٍ، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ؛ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرَقِ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا))[1].

قال ابن حجر في الفتح: «نعتقبه أيْ نركبه عُقْبةً عُقْبة، وهو أن يركب هذا قليلًا ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتىٰ يأتي علىٰ سائرهم»[2]. والحقيقة أننا نحتاج أن نقف وقفة مع هذا الموقف، فهذا الحديث وأمثاله يُوضِّح لنا مدىٰ التضحية والبذل والعطاء الذي تميَّز به ذلك الجيل الصادق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

صور من حرص الصحابة على الجهاد

كان العام السابع من الهجرة حركة دائبة ومستمرة من الجهاد في سبيل الله، من الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم؛ وإذا نظرنا إلىٰ الشهور الثلاثة الأخيرة من ذلك العام، نجد أن

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٤١٢٨، ج ٥، ص ١١٣).
(٢) فتح الباري، العسقلاني، ج ٧، ص ٤٢١.

الرسول وصحابته الكرام قد توجَّهوا إلىٰ مكة المكرمة لأداء عمرة القضاء مع التضحية التامة بالنفس، والذهاب إلىٰ قريش في عُقْر دارها، وكانوا علىٰ استعدادٍ تام للقتال حتىٰ النهاية، وبعد عودة المسلمين إلىٰ المدينة المنورة بعد صلح الحديبية، انطلقوا مباشرة إلىٰ الحصون والقلاع في خيبر، ودار قتال شرس لأكثر من شهر بخيبر، وانتصار مهيب لا مثيل له.

ثم بعد عودتهم إلىٰ المدينة بعدة أيام، خرجوا لقتال قبيلة غطفان، وكانت من أقوىٰ وأشرس قبائل العرب، وساروا في الصحراء مسافة طويلة، وبذلك نرىٰ حركة دائمة في سبيل الله، وبذلًا وتضحية في كل لحظة، ومن ذلك أن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاد من الحبشة فوجد الرسول ﷺ قد غادر المدينة إلىٰ خيبر، فترك جعفر المدينة مباشرة، وتوجَّه إلىٰ خيبر ليشارك في الجهاد في سبيل الله، مع أنه قَدِم من الحبشة وهي مسافة طويلة جدًّا، وأبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتي من اليمن في أيام خيبر، فيخرج بعد قدومه بعدة أيام إلىٰ هذه الغزوة الصعبة، غزوة ذات الرقاع.

الله ﷻ يلقي الرعب في قلوب غطفان

مع كل الصعوبات التي واجهها الجيش الإسلامي إلىٰ ديار غطفان، كنا نتوقَّع معركة طاحنة بين المسلمين الذين تعرَّضوا

لأذىٰ غطفان قبل ذلك أكثر من مرة، وبين غطفان القبيلة الكبيرة الشرسة، التي يغزوها المسلمون في عُقْر دارها، ولكن المفاجأة أنه لم يحدث قتال؛ فقد آثر أهل غطفان ألاَّ يدخلوا في صراع مع المسلمين، مع أن المسلمين في أقصىٰ تقدير لا يزيدون علىٰ سبعمائة، وأعدادُ غطفان هائلة، والمعركة في عُقْر دارهم، وفي الطرق والدروب التي يعرفونها جيِّدًا، والمسلمون قادمون من مسافة بعيدة، وقد نَقِبَتْ أقدامهم من السَّيْر كما يقول أبو موسىٰ الأشعري، وأهلُ غطفان مستقرون في ديارهم، فهذا الأمر في عُرْف أهل الدنيا أمرٌ عجيبٌ حقًّا.

كيف يهرب أهل غطفان وهم في هذه الظروف المستقرة، والجيش المواجه لهم ظروفه صعبة وهو قادم من سفر طويل وعدده قليل؟ هذا الوضع لم يكن له إلا تفسير واحد، وهو أن الجيش الإسلامي كان مؤيَّدًا بقوة خارقة فوق كل الحسابات المادية، وهو تأييد رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ، ولعامَّة المؤمنين، كما أخبر الحبيب المصطفىٰ بذلك إذ يقول: ((نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ))[1].

فقبْل أن يصل الرسول ﷺ إلىٰ أرض المعركة، يقذف الله الرعب في قلوب أعدائه، وقد رآه المسلمون في بدر والأحزاب، وفي غزوات اليهود المختلفة، فقد رأوه مع بني قَيْنُقَاع وانتهاءً

(١) صحيح ابن حبان (حديث رقم: ٦٣٩٨، ج ١٤، ص ٣٠٨).

بخيبر، بل شاهدوه في النصف الأول من غزوة أُحد عندما كان المسلمون مرتبطين برسول الله ﷺ، قال تعالىٰ تعليقًا علىٰ النصف الأول من غزوة أُحد: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[آل عمران:١٥١].

أي أنه إذا ارتبط المسلمون بالله، ألقىٰ الله تعالىٰ الرعب في قلوب الفريق الآخر، وهذا أمرٌ معروف عند المسلمين في حروبهم، ولكن الجديد في غزوة ذات الرِّقَاع أن هذا الشعور قد دخل أيضًا عند أهل غطفان، ووجدوا أنفسهم ينسحبون أمام الجيش الإسلامي بشكل غير مبرَّر، ووجدوا أنفسهم للمرة الأولىٰ في حياتهم في فزع ورعب شديد من غيرهم، فهم يعيشون علىٰ السلب والنهب وقطع الطريق، ومع ذلك وجدوا أنفسهم يخافون من الجيش الإسلامي الذي لا يتجاوز علىٰ أقصىٰ تقدير سبعمائة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وإذا كان هذا الرعب من فريق قليل من المسلمين، فهذا الأمر يحتاج إلىٰ وقفة، ويحتاج إلىٰ تفسير وتحليل، فقد يأتي النصر من حيث لا نحتسب؛ ليعترف الجميع أن النصر من عند الله ﷻ، فغزوة ذات الرقاع قد هزَّت قبيلة غطفان من الأعماق، وبدأت غطفان وزعماؤها يفكرون بنظرة إيجابية لهذا الدين، نَعَمْ لم يأخذوا قرارًا سريعًا بالدخول في الإسلام، ولكنهم وقفوا

وقفة جادة للتأمل، فهؤلاء المرتزقة الذين عاشوا حياتهم على السلب والنهب يرون أنفسهم أمام شيءٍ لم يروه من قبل، والآن دخلت الرهبة في قلوبهم، وألقىٰ الإسلام بجلاله وهيبته علىٰ غلاظ الأكباد وعتاة الإجرام، فهذا الدين المحكم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢] قد تسلَّل إلىٰ تلك القلوب القاسية تسلُّلًا عجيبًا، ورجع الرسول الكريم وصحابته الميامين دون قتال، ولكنه ترك أثرًا لا يُمحىٰ في قلوب غطفان.

الرسول يوجه السرايا إلى أرض غطفان

عاد الرسول ﷺ من غزوة ذات الرقاع، بعد أن وجَّه ذلك الإنذار لقبائل غطفان، وبدأ في إرسال ست سرايا متتالية إليهم، وكلها في العام السابع من الهجرة؛ فقد أرسل هذه السرايا إلىٰ مناطق قُدَيْد وتُرَبَة وبني مُرَّة ومَيْفَعَة ويَمْن وجُبار والغابة، وكلها من أرض غطفان، وبذلك نرىٰ تركيزًا واضحًا علىٰ قضية غطفان في العام السابع من الهجرة.

ومن الواضح أن الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام كان يسير بخطوات محكمة، وليس فيها بطء قَطُّ في الأداء، وقد وجَّه الجيش بكامل طاقته لردع بقية الأحزاب وغيرهم من أعداء الأمة، ونجح ﷺ في هذه الحملات المتكررة، وبذلك أصبحت

القوة الإسلامية في آخر العام السابع من الهجرة هي القوة الأولىٰ في الجزيرة العربية.

ومع نجاح هذا الجانب العسكري للدولة الإسلامية، إلا أن الرسول ﷺ لم يترك مهمته الأولىٰ كرسول وهي مهمَّة البلاغ، بل انتشر الدعاة إلىٰ الله في كل أنحاء الجزيرة العربية وفي خارجها، ودعا المسلمون إلىٰ الإسلام صراحةً، وبقوة وعزة حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ معظم ممالك العالم.

وبذلك نرىٰ العام السابع للهجرة عامًا جهاديًّا عسكريًّا ودعويًّا، بدأ فيه المسلمون في جَنْيِ ثمرات صلح الحديبية، ووصلت في هذا العام دعوة الإسلام إلىٰ كل مكان، وانتصر فيه المسلمون انتصارًا باهرًا علىٰ اليهود في خيبر ووادي القرىٰ، وفَدَك وتيماء، وحُجِّمت قوة غطفان وتضاءلت، وعرفوا أن قوة المسلمين أعلىٰ من قوتهم، حتىٰ وإن كان المسلمون قليلي العدد، وزاد عدد المسلمين في المدينة المنورة بشكل ملحوظ بعد قدوم المسلمين إليها من كل مكان؛ فقد جاء مهاجرو الحبشة والأشعريون والدوسيُّون [من قبيلة دَوْس] وغيرهم، بل أسلم الكثير والكثير، فكان العام السابع من الهجرة عامًا سعيدًا من أعوام الدعوة.

شُؤونٌ أُسَرِيَّةٌ

أكثر مشاكل البيوت- والتي تُفضي في أحيانٍ كثيرة إلىٰ الطلاق- هي من معاناة التوافه، ومعايشة صغار المسائل؛ مثل عدم ترتيب البيت، أو عدم تقديم الطعام في وقته، أو أن المرأة لا تريد من زوجها أن يُكثِر من استقبال الضيوف. إن علىٰ الرجل أن يسكُت إذا غضبت زوجته، وعليها أن تسكُت إذا هو غضب، حتىٰ تهدأ الثائرة، وتبرُد المشاعر، وتسكُن اضطرابات النفس.

يقول ابن الجوزي في «صيد الخاطر»[1]:

«متىٰ رأيتَ صاحبك قد غضب، وأخذ يتكلم بما لا يصلح، فلا ينبغي أن تعقد علىٰ ما يقوله خنصرًا [أي لا تعتدَّ به ولا تلتفت إليه]، ولا أن تؤاخذه به، فإن حاله حال السكران لا يدري ما يجري، بل اصبر ولو فترة، ولا تُعَوِّل عليها، فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر، ومتىٰ أخذتَ في نفسك عليه، أو أجبته بمقتضىٰ فعله، كنتَ كعاقلٍ واجه مجنونًا، أو مُفيقٍ عاتب مغمًىٰ عليه، فالذنب لك، بل انظر إليه بعين الرحمة، وتلمَّح تصريف القدر له، وتفرَّج في لعب الطبع به. واعلم أنه إذا انتبه ندم علىٰ ما جرىٰ، وعرف لك فضل الصبر».

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص ٢٨٣.

ويقول الدكتور عائض القرني في كتابه «لا تحزن»[١]: «مَنْ لم يَسْعَد في بيته لنْ يَسْعَدَ في مكانٍ آخرٍ، ومَنْ لم يُحِبُّه أهلُه لنْ يُحِبَّهُ أحدٌ، ومَنْ ضَيَّع يومَه ضَيَّعَ غَدَهُ».

(١) لا تحزن، القرني، ص ٥٣٣.

كُنْ سعيدًا

من قواعد السعادة:

- ✓ اتَّقِ الله في السِّرِّ والعَلَن.
- ✓ لا تَكرَه أحدًا مهما أخطأ في حقك.
- ✓ لا تقلق أبدًا.
- ✓ عِشْ في بساطة مهما علا شأْنُك.
- ✓ توقَّع خيرًا مهما كثر البلاء.
- ✓ أعطِ كثيرًا ولو حُرِمْتَ من أشياء كثيرة.
- ✓ ابتسم ولو كنتَ حزينًا، وقلبك يقطُر دمًا.
- ✓ لا تقطع دعاءَك لأخيك ولو بظهر الغيب.

مِنْ رَوَائِعِ الأَدَبِ العربي

(قُدسية مدينة نزوىٰ في الشِّعر العماني[١])

مدينة نزوىٰ هي عاصمة الإمامة وموئل العلماء، ولها مكانتها في تاريخ عمان: دينيًّا وعقديًّا وسياسيًّا، ولها دورها في تحريك الأحداث، وإثارة المشاعر، وتوليد الأفكار، وتحمل مكانة خاصَّة في قلوب الإباضية وعقولهم. وقد أبدىٰ الشعراء فيما نظموه عن نزوىٰ من المشاعر ما لا يُدركه القارئ للشعر العماني لأول وهلة؛ فهم إذا وصفوا هذه المدينة وصفوها بشعورٍ مرتبطٍ بالفكر الإباضي، وإذا مدحوا شخصًا فلأنه يحملُ بين جنبيه إحساسَه بهذا الفكر، وإذا نَعَوْا أو ذَمُّوا فإنهم يقصدون مَن يُناهِض هذا الفكر، وإذا تحسَّروا علىٰ شيء فإنهم يتأسفون من المساس بهذا الفكر. من هنا فإن الحديث عن قدسية مدينة نزوىٰ حديثٌ عن الفكر الإباضي.

وعليه نفهم سرَّ ارتباط الشاعر الإباضي بمدينة نزوىٰ علىٰ وجه الخصوص، حيث ارتبطت هذه المدينة برجال كان لهم دورهم الواضح سياسيًّا وعلميًّا، لأنها كانت عاصمة الإمامة العمانية منذ القرن الثاني للهجرة سنة (١٩٢هـ) أيْ منذ عهد الإمام

(١) أثرُ الفِكر الإباضي، السليمي، ص ٢٥١.

غسان بن عبد الله اليحمدي (ت ٢٠٧هـ)، وتعاقَبَ على أرضها أئمة عدول.

لقد خاطبَ الشعراء مدينة نزوىٰ، مسجِّلين أمجادَها وتاريخَها ودورَها الكبير في نشر المذهب الإباضي، وتخليد مسيرته، وإظهار حقيقته، فارتبطت المدينة عندهم بمعاني الجلال والعظمة، ونصاعة الفكر وصفاء العقيدة. وعلىٰ رأس هؤلاء الشعراء أبو مسلم البهلاني (ت ١٣٣٩هـ)، الذي خصَّها بأبياتٍ طويلة، تفيض عذوبة، اختلطتْ فيها عاطفة الشاعر الإيمانية بعاطفته الوطنية، حين أصبحتْ عنده رمزًا من رموز الوطن، وموئلًا للمذهب، وشكَّلتْ حينها جانبًا من جوانب الاستقلال والحرية والعدالة، فاكتسبتْ بُعدًا تاريخيًّا وبُعدًا دينيًّا وبُعدًا مكانيًّا وبُعدًا وطنيًّا؛ فنزوىٰ مليئةٌ بعَبَق التاريخ، مرتبطةٌ بالعقيدة التي تحكُم الإباضية، فالحديث عنها يُثيرُ المشاعرَ ويُلهِبُ الحماسَة، ويُحْكِمُ الرباطَ بين الأجيال التي تنتمي إلىٰ أصول واحدة. قال من جملة ما قال في قصيدته (الفتح والرضوان في السيف والإيمان):

وافرُقْ بها البِيدَ حتىٰ تَسْتَبِينَ لها ... فَرْقٌ علىٰ بَيْضَةِ الإسلامِ عُنوانُ[1]

فإنْ تَيَامَنَتِ الحَوْراءُ شاخصةً ... لها مَعَ السُّحْبِ أكْنافٌ وأحضانُ[2]

فَحُطَّ رَحْلَكَ عنها إنها بَلَغَتْ ... نزوىٰ وطافَتْ بها لِلمَجْدِ أركانُ

(١) فرق: قرية في مدنية نزوىٰ بمحافظة الداخلية، بيضة الإسلام: مصطلح يُطلق علىٰ مدينة نزوىٰ.

(٢) الحوراء: جبل متوسِّط الارتفاع بعد قرية «فرق» وقبل الوصول إلىٰ مركز مدينة نزوىٰ.

اِنْـزِلْ فَدَيْتُـكَ عنهـا إنَّ حَاجَتَهَـا عَـدْلٌ وَفَضْـلٌ وإنْصَـافٌ وإحْسَـانُ
اِنْـزِلْ فَدَيْتُـكَ عنهـا إنَّ وِجْهَتَهَـا تَخْـتُ الأئِمَّـةِ مُـذْ كَانْتْ وَمُـذْ كانُوا
هُنالِـكَ انْـزِلْ وَقَبِّـلْ تُرْبَـةً نَبَتَـتْ بهـا الخلافَـةُ والإيمـانُ إيمـانُ
اِنْزِلْ علىٰ عَرَصَـاتٍ كُلُّهَـا قُـدُسٌ لِلْحَـقِّ فِيْهِـنَّ أزْهَـارٌ وَأفْنَـانُ
اِنْزِلْ علىٰ عَذَبَاتِ النُّورِ حَيْثُ حَوَتْ أئِمَّـةَ الدِّيـنِ قِيعَـانٌ وَظُهْـرانُ
أَرْضٌ مُقَدَّسَـةٌ قَدْ بُورِكَتْ وَزَكَتْ تَنْصَـبُّ فِيهـا مِـنَ الأنْـوارِ مِعْنَـانُ

تتضـحُ في هـذه الأبيـات القُدْسِـيَّة التـي أحـاط بهـا أبـو مسـلم البهـلاني مدينـةَ نـزوىٰ، التـي تُعتبـر الرمـزَ علـىٰ الأصالـة والتاريـخ والعقيـدة، والمدينـة التـي تُهيِّـج العواطـف والمشـاعر وتسـتنهض الهِمَـمْ، ولا غَـرْوَ في ذلـك؛ فهي تُشـكِّل عاصمـةً لنظـام أشبه بالخلافة الراشـدة، وهـي الإمامـة الإباضيـة، مُشـبِّهًا نـزوىٰ بالتربـة والخلافـة بالشـجرة التـي نبتـتْ في ظلهـا، ورسـتْ بجذورهـا في قعرهـا، وزاد الأمـرُ وضوحًـا حيـن أشـار إلـىٰ أن قُدْسِـيَّة هـذه المدينـة تُسـتَمَدُّ ممـا حـواه باطنهـا وظاهرهـا مـن أئمـة عظـام.

السيرةُ النبويَّةُ

كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول ﷺ، وكان في أذنيه صمم، فكان يرفع صوته، فلما نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، أقام في منزله وخَشِيَ أن يكون حَبِط عمله، ثم أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا نبيَّ الله لقد خشيتُ أن أكون هلكتُ، نهانا الله أن نجهرَ بالقول وأنا امرؤٌ جهيرُ الصوت، فقال النبي ﷺ: ((يَا ثَابِتُ، أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ))، قال: بلىٰ يا رسول الله، فعاش حميدًا، وقُتِل شهيدًا يوم اليمامة[1].

(١) أي وقعة اليمامة زمن أبي بكر الصديق في ربيع الأول من سنة ثنتي عشرة للهجرة، وهي وقعة مسيلمة الكذاب المشهورة. واليمامة اسم مدينة علىٰ مرحلتين من الطائف. وفي يوم اليمامة خرج ثابت بن قيس مع خالد بن الوليد إلىٰ مسيلمة، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولىٰ أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا وقاتلا حتىٰ قتلا. يُنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، القاضي عياض، ج ٢، ص ٨٣، والمعجم الكبير للطبراني (حديث رقم: ١٣١٣، ج ٢، ٦٧).

رأْيٌ

يقـول علـي أبـو الخيـر في كتابـه « أشـهر الخونـة والمفسـدين في تاريـخ الأمـة»[١]:

«فقـد نظـرتُ في تاريـخ الأمـة منـذ فجـر الإسـلام، ورأيـتُ أن هنـاك عيوبًـا للشـخصية العربيـة امتـدتْ آثارُهـا حتىٰ وقتنـا الحالـي، لعـلَّ من أهـم هـذه المثالـب أن العربي شـخصٌ يعيش بوجدانـه أكثر مـن عقلـه، وبأحلامـه أكثـر مـن وعيـه، انفعاليٌّ شـديدَ الانفعـال فيمـا يعتقـد أنـه صـواب، ومـن المسـتحيل أن يقـول العربي: «أنـا أخطـأتُ، وأريـد الاعتـذار وإصـلاح الخطـأ»، ويُـؤدِّي بـه ذلـك إلىٰ عـدم تخيُّلـه أن أحـدًا يفوقـه، فقـد انطبـع في وجدانـه وليـس في عقلـه»[٢].

(١) أشهر الخونة والمفسدين، أبو الخير، ص ٥.

(٢) هذا في رأيي حُكمٌ جريءٌ من علي أبو الخير، وربما ساقه علىٰ سبيلِ المبالغة، وقد مرَّ بنا في الفقرة السابقة أن ثابت بن قيس رضي الله عنه وهو في فجرِ الإسلامِ المشارِ إليهِ- قد أخطأ، وقال: أخطأتُ، وفي ذلك تعارضٌ مع ما يسوقه الكاتب هنا.

زادُ طالبِ العلمِ

يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي- المفتي العام لسلطنة عمان- في كتابه «العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع»[١]:

«كم يتمنىٰ الإنسان أن يغدو فقيهًا محقِّقًا جامعًا من علم الشرع وسائلِه ومقاصدِه، ولكن أنىٰ ذلك إلا لمن أفاض الله عليه فيوض مواهبه، ووفَّقه لتحصيل العلم باتباع وسائله إلىٰ مقاصده، ولئن كان الله ﷻ أنعم علىٰ رهطٍ من الرعيل الأول بالتلقي عن النبي ﷺ من نصوص الوحي من الكتاب والسنة ما بلغوا به في العلم شأوًا عاليًا، بسبب ما أودعه الله ﷻ فيهم من مَلَكات تفتَّقتْ عن معارف، وأثمرت ضروبًا من العلم، فإن مَن جاء بعدهم كان أحوج إلىٰ بذل مزيدٍ من الجهد والعناء في تحصيله.

فإنه كلما امتد الزمن وبعُد العهد عن عهد الرسالة كان تحصيل العلم أعوص وأصعب، بسبب ما يتطلبه من وسائل أصبحت بمرور الزمن أكثر صعوبة وتعقيدًا، فالرعيل الأول طُبعوا علىٰ اللسان العربي؛ الذي جعله الله وعاءً لكلامه المحكم، ولم يكونوا بحاجة إلىٰ ما استجدَّ من الوسائل لمعرفة هذا اللسان،

(١) العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع، الخليلي، ص ٢٩٤-٢٩٦.

وإدراك مضامين مفرداته وجمله، ومعرفة أساليبه في التعبير التي يميز بها بين عبارة وأخرىٰ، كما أنهم كانوا أُولي مدارك ثاقبة ومَلَكَات راسخة مكَّنتهم من ضبط الأدلة الشرعية، والتمييز بين أنواعها، ومعرفة خصائص كل منها، فما كان يعييهم الأمر عندما يتعارض الخصوص والعموم، أو الإطلاق والتقييد، أو الإجمال والتفصيل، بل كانوا قادرين علىٰ إنزال كلٍّ منها منزله، والجمع بينها وفق معايير دقيقة ناشئة عن المَلَكَات لا المصطلحات، لذلك كانت فتاواهم في منتهىٰ الضبط والإتقان.

وبتقادُم العهد أخذت هذه الخصائص تُفتَقد شيئًا فشيئًا، فاضطر الناس إلىٰ ابتكار فنون من العلم تحفظ بها المَلَكَات اللغوية، وأخرىٰ يُوازَن بها بين الأدلة الشرعية، فكانت نتيجة ذلك علوم اللغة والنحو والتصريف والبلاغة وعلم أصول الفقه ومشتقاتها من الفنون التابعة لها، كما أنهم اضطروا إلىٰ ضبط الروايات، والتأكُّد من صحتها، فأنشؤوا علم مصطلح الحديث، وبهذا لم يعُد الخَلَفُ قادرًا علىٰ النظر في الأدلة الشرعية، واستنباط الأحكام منها إلا بعد أن يُتقِن هذه العلوم، فيتمكن من النظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والغوص في بحارهما، لاقتناص جواهر الأحكام؛ لأنها أصبحت هي الوسائل التي تُمكِّن من الغوص في عمق هذا العُباب».

عجائبٌ وغرائبٌ

روىٰ الإمام مسلم في صحيحه[١]، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

بعثنا رسول الله ﷺ، وأمَّر علينا أبا عبيدة، نتلقىٰ عيرًا لقريش، وزوَّدنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة.

قال الراوي عن جابر:

فقلتُ: كيف كُنتُم تصنعون بها؟

قال: نمصُّها كما يمصُّ الصبيُّ، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلىٰ الليل، وكنا نضرب بعِصِيِّنا الخبط [أيْ ورق الشجر] ثم نبلُّه فنأكله.

قال: وانطلقنا علىٰ ساحل البحر [أي البحر الأحمر]، فرُفِع لنا علىٰ ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم [أيْ التلِّ الكبير من الرمل] فأتيناه، فإذا هي دابة تُدعىٰ العنبر.

قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسلُ رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا.

(١) صحيح مسلم (حديث رقم: ١٩٣٥، ج ٣، ص ١٥٣٥).

قال: فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاث مائة حتىٰ سَمِنَّا.

قال: ولقد رأيتُنا نغترف من وَقْبِ عينه [أي من داخل عينه] بالقِلال [أي بالجرار الكبيرة] الدُّهْنَ، ونقتطع منه الفِدَرَ [أي القِطَع] كالثور أو قدر الثور.

فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا، فأقعدهم في وَقْبِ عينه، وأخذ ضِلْعًا من أضلاعه فأقامها، ثم رَحَّلَ أعظمَ بعير، فمرَّ من تحتها [وفي رواية أخرىٰ لمسلم: ثم نظر إلىٰ أطول رجل في الجيش وأطول جمل فحمله عليه].

وتزودنا من لحمه وشائقَ، فلما قدِمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: ((هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟))، قال: فأرسلنا إلىٰ رسول الله ﷺ منه فأكله.

شُؤُونٌ صِحِّيَّةٌ

(العادات العشر الأكثر تدميرًا للدماغ)

١- عدم تناول وجبة الإفطار: الناس الذين لا يتناولون وجبة الإفطار سوف ينخفض مُعدَّل سكر الدم لديهم، وهذا يقود إلىٰ عدم وصول غذاءٍ كافٍ لخلايا المخ مما يؤدي إلىٰ انحلالها.

٢- الإفراط في تناول الأكل: الأكل الزائد يُسبِّب تصلُّب شرايين الدماغ، مما يؤدي إلىٰ نقصٍ في القوة الذهنية.

٣- التدخين: يُسبِّب التدخين انكماشَ خلايا المخ، وربما يُؤدِّي إلىٰ مرض الزهايمر.

٤- كثرة تناول السُّكريات: كثرة تناول السكريات يعوقُ امتصاصَ الدماغ للبروتينات والغذاء، مما يسبب سوء تغذية الدماغ وربما يتعارض مع نمو المخ.

٥- تلوُّث الهواء: الدماغ هو أكبر مستهلك للأكسجين في أجسامنا. لذا فإن استنشاق هواء ملوث يُقلِّل دعم الدماغ بالأكسجين مما يُقلِّل كفاءة الدماغ.

٦- الأَرَق[١]: النوم يساعد الدماغ علىٰ الراحة، وكثرة الأَرَق تزيد سرعة موت خلايا الدماغ.

(١) الأَرَق: التعب الشديد الذي لا يأتي معه نوم.

٧- تغطية الرأس أثناء النوم: تغطية الرأس في النوم تزيد تركيز ثاني أكسيد الكربون وتُقلِّل تركيز الأكسجين، مما يؤدي إلىٰ تأثيرات سلبية علىٰ الدماغ.

٨- القيامُ بأعمالٍ أثناء المرض: العمل الشاق أو الدراسة أثناء المرض تُقلِّل من فعالية الدماغ، كما أنها تُؤدي إلىٰ تأثيرات سلبية عليه.

٩- قلة تحفيز الدماغ علىٰ التفكير: التفكير هو أفضل طريقة لتمرين الدماغ، وقلة تحفيز الدماغ علىٰ التفكير تُؤدي إلىٰ تقلُّص خلايا الدماغ أو تلفها.

١٠- نُدْرة الحديث مع الآخرين: الحوار الفكري مع الآخرين يساعد علىٰ ترقية فعالية الدماغ.

التاريخُ والسِّيَرُ

(حلف الفضول[١][٢])

كان قبل البعثة بعشرين سنة، وكان أكرم حلف وأشرفه، وأول مَن تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب- عمُّ رسول الله ﷺ-، وكان سببه أن رجلًا من زبيد[٣] قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدىٰ عليه الزبيدي الأحلاف: عبدَ الدار ومخزومًا وجُمحًا وسهمًا وعديَّ بنَ كعب، فأبَوْا أن يُعِينوه علىٰ العاص، وانتهروه. فلما رأىٰ الزبيدي الشر، أوفىٰ علىٰ أبي قُبَيْس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلىٰ صوته:

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ص ١٣٩.

(٢) سُمِّيَ هذا الحلف بحلف الفضول باسم ثلاثة من زعماء جُرْهُم (جُرْهُم: قبيلة قديمة من السكان الأصليين لشبه الجزيرة العربية، نزلوا بمكة عند هاجر وابنها إسماعيل ﷺ قادمين من اليمن، وعندما كبر إسماعيل تزوج منهم) وهم: الفَضْلُ بن فَضَالَةَ وَالفَضْلُ بن وَدَاعَةَ وَالفَضْلُ بن الحارث، وقيل بل هم: الفَضْلُ بن شُرَاعَةَ وَالفَضْلُ بن وَدَاعَةَ وَالفَضْلُ بن قُضَاعَة، والفضول: جمع فضل وهي أسماء هؤلاء الذين تقدَّموا، وقيل بل سُمِّي كذلك لأنهم تحالفوا أن تُرَدَّ الفضول علىٰ أهلها، وألا يغزو ظالم مظلومًا.

(٣) زبيد: مدينة في اليمن تتبع محافظة الحديدة، وهي ذات أهمية أثرية وتاريخية، وكانت عاصمة اليمن من القرن الثالث عشر إلىٰ القرن الخامس عشر.

يـا آلَ فِهْـرٍ لِـمَظْلُومٍ بضاعتُـهُ ببطـنِ مكـةَ نائـي الـدارِ والنَّفَـرِ
ومُحـرِمٌ أشعثَ لـم يقـضِ عُمْرتَهُ يـا للرجـالِ وبين الحِجْـرِ والحَجَرِ
إن الحـرامَ لِـمَنْ تمـَّتْ كرامَتُـهُ ولا حـرامَ لثـوبِ الفاجـرِ الغَـدِر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مُتْرَكٌ [أي أن هذا الاضطهاد لا يُترك]. فاجتمعت هاشم وزهرة وتَيْم بن مُرة في دار عبد الله بن جدعان، وهو من بني تَيْم بن مُرة، لشرفه وسنه، فصنع لهم طعامًا وتعاقدوا وتعاهدوا علىٰ أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا علىٰ مَن ظلمه حتىٰ تُرَدَّ عليه مظلمته؛ ثم مَشَوْا إلىٰ العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه. فسمَّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك:

إِنَّ الْفُضُـولَ تَعَاقَـدُوا وَتَحَالَفُـوا أَلَّا يُقِيـمَ بِبَطْـنِ مَكَّـةَ ظَالِـمُ
أَمْـرٌ عَلَيْـهِ تَعَاقَـدُوا وَتَوَاثَقُـوا فَالْجَـارُ وَالْمُعْتَـرُّ فِيهِـمْ سَـالِمُ

وفي هذا الحلف قال رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَىٰ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ))[1].

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي (حديث رقم: ١٣٠٨٠، ج ٦، ص ٥٩٦) من حديث طلحة بن عبد الله رضي الله عنه.

شَبابٌ وفَتياتٌ

نشرت شبكة «نور الإسلام» بتاريخ ٩ مايو ٢٠٠٧م المقالة الآتية تحت عنوان «بروتوكولات صهيونية جديدة لتدمير الشباب المصري»[١]:

«نشرت صحيفة (لوبوان) الفرنسية دراسة خطيرة أجرتها جامعة تل أبيب الصهيونية، تُحرِّض فيها الشباب والشابات الصهاينة علىٰ إلهاء الشباب المسلم المصري عن التديُّن ونشر الفجور بينهم، وتناولت الدراسة توصيات تُشبِه بروتوكولات حكماء صهيون التي أصدرها حاخامات الصهيونية عام ١٩٠٣م بهدف السيطرة علىٰ العالم سياسيًّا واقتصاديًّا وإعلاميًّا.

الدراسة أكَّدت أن النمو الديني والتربوي عند الشباب المصري تزايد إلىٰ حدٍّ كبير، وتمثَّل ذلك في أن أكثر من ٨٥٪ من الفتيات المصريات يرتدين الحجاب و ٦٠٪ من الشباب يحملون المصاحف، وتَتَّسِم تصرفاتهم بقدْرٍ كبيرٍ من العقلانية والتروِّي بخلاف ما كان عليه الشباب قبل عشر سنوات؛ إذ كان يظهر عليه التوحُّش الجنسي والإقدام علىٰ الخطايا والذنوب، واعتبرت

(١) رابط المقالة:

http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=5226

الدراسة ذلك التغيير يمثل خطرًا كبيرًا علىٰ أمن الكيان الصهيوني.

أرجعت الدراسة هذا الزحف الديني علىٰ قلوب الشباب إلىٰ القنوات الفضائية الدينية التي أثَّرتْ بشكلٍ كبيرٍ علىٰ عقول الشباب في الفترة العُمْرية ما بين ١٦ إلىٰ ٢٥ عامًا؛ حيث يكون الشباب في مرحلة تكوين عقلي وتتسم عقولهم بالانفتاح ويتأثرون بالعاطفة، وأكَّدت الدراسة خطورة تأثرهم بالفضائيات الدينية التي أثَّرت عليهم بشكلٍ كبيرٍ.

قالت الدراسة: إن القنوات الفضائية لعبت دورًا له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس الشباب بدعوتهم إلىٰ مكارم الأخلاق والعبادة والتقرُّب إلىٰ دينهم وقراءة القرآن وشرح الآيات التي تتناول اليهود وحياتهم وطبائعهم، وهو ما يعني زيادة العداء للكيان الصهيوني الذي ربما يصل إلىٰ حد العنف.

أضافت الدراسة: إن هناك عددًا من القنوات الإسلامية التي استطاعت جذب الشباب إليها؛ وأهمها (الناس) و(المجد) و(الرسالة) و(اقرأ)، بالإضافة إلىٰ أسطوانات دينية تباع بأسعار زهيدة ويتبادلها الشباب. وقالت إن الشباب أقبل علىٰ هذه القنوات لأن شيوخها ومقدِّمي البرامج فيها تقرَّبوا إليهم بعقولهم وتحدَّثوا بلغتهم وارتدوا زيًّا معاصرًا بعيدًا عن الزَّيِّ الإسلامي التقليدي، كما أصبحتْ لغةُ الخطاب الديني في تناول القضايا بها الكثير من المرونة.

اختتمت الدراسة ببعض التوصيات للشباب الإسرائيلي المستخدِم لشبكة الإنترنت، وقالت لهم:

- ✓ أدُّوا واجبكم.
- ✓ اعملوا ما تقدرون عليه لإلهاء الشباب المصري عن حياته الدينية الجديدة.
- ✓ علىٰ الفتيات والشواذ الإسرائيليين إرسال صورهم وهم في أوضاع مخلة علىٰ الإنترنت للشباب المسلم المصري.
- ✓ اطلبوا التعارف والصداقة مع مصريين شبابًا عسىٰ أن يكون لهذا نتيجة «إيجابية».
- ✓ مَن يستطِع إفسادَ شابٍّ مصريٍّ مسلمٍ فقد فاز فوزًا كبيرًا.

صَدِّقْ أو لا تُصدِّقْ

يُقال إن المستوغِر بن ربيعة عاش قبل بعثة النبي ﷺ، وامتدَّ به العُمُر حتىٰ عاش ٣٣٠ سنة، وحضر ذاتَ يوم سوق عُكاظ ومعه ابن ابنه [أي حفيده]، وقد هَرِم الحفيدُ، والجَدُّ يقوده، فقال له رجل: «ارفِقْ بهذا الشيخ، فقد طالما رفِقَ بك»؛ فقال له الجَدُّ: «ومَنْ تراه؟» قال: «هو أبوك أو جدُّك»؛ فقال: «ما هو إلا ابنُ ابني [أي حفيدي]»[1].

ويُروىٰ عنه أنه قال:

ولَقَدْ سَئِمْتُ منَ الحَيَاةِ وطُولِها ... وعَمَرْتُ من عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مائةٌ حَدَتْها بَعْدَها مائتَانِ لي ... وازْدَدْتُ من بَعْدِ الشُّهُورِ سِنينَا

هَلْ ما بَقَىٰ إِلاَّ كما قد فاتَنِي ... يَوْمٌ يَمُرُّ ولَيْلَةٌ تَحْدُونا

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ص ١٠٠.

مِنْ لَطَائِفِ الشِّعْرِ

عندما تغلَّب النصارىٰ علىٰ بلاد الأندلس، قام أبو البقاء الرُّندي[١] محرِّضًا علىٰ الجهاد ومخاطبًا أهل الإسلام، وأنشد قصيدته الآتية المسماة «مرثية الأندلس»:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ ... فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ ... مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلىٰ أَحَدٍ ... وَلا يَدُومُ عَلىٰ حالٍ لَها شانُ

يُمَزِّقُ الدَهرُ حَتمًا كُلَّ سابِغَةٍ ... إِذا نَبَتْ مَشرَفِيّاتٌ وَخرصانُ[٢]

وَيَنتَضي كُلَّ سَيفٍ للفَناء وَلَو ... كانَ ابنَ ذي يَزَنٍ وَالغِمدُ غُمدانُ[٣]

(١) أبو البقاء صالح بن يزيد بن صالح بن موسىٰ بن أبي القاسم بن علي بن شريف الرُّنْدِي الأندلسي (ت ٦٨٤هـ)، من أبناء مدينة رندة بالأندلس وإليها نسبته. من الفقهاء وحفظة الحديث، وكان بارعًا في نظم الكلام ونثره، وأجاد في المدح والغزل والوصف والزهد. عاصر الفتن والاضطرابات التي حدثت من الداخل والخارج في بلاد الأندلس، وشهد سقوط معظم القواعد الأندلسية في يد الإسبان.

(٢) المشرفيات: السيوف، الخرصان: الرماح.

(٣) أي كل سيف حين يُسَلُّ ليُفني بالقتل، هو أيضًا يُسَلُّ ليَفنىٰ، أي يدركه ما يدرك كل شيء من عوامل الفناء، وإن يكن ماضيًا في مضاء سيف بن ذي يزن الذي حرر بلاده من سلطان الحبشة، وإن يكن محفوظًا في غِمْدٍ جيِّدٍ حصين كقصر غُمْدان بضم الغين، الذي كان من حصون ملوك اليمن، ويقال إن جامع مدينة صنعاء مبنيٌّ علىٰ بقاياه.

أَينَ المُلوكُ ذَوو التيجانِ مِن يَمَنٍ ... وَأَينَ مِنهُم أَكالِيلٌ وَتيجَانُ

وَأَينَ ما شادَهُ شَدّادُ في إِرَمٍ ... وَأَينَ ما ساسَهُ في الفُرْسِ ساسانُ[1]

وَأَينَ ما حازَهُ قارونُ من ذَهَبٍ ... وَأَينَ عادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحطانُ

أَتىٰ عَلىٰ الكُلِّ أَمرٌ لا مَرَدّ لَهُ ... حَتّىٰ قَضَوْا فَكَأَنَّ القَومَ ما كانُوا

وَصارَ ما كانَ مِن مُلْكٍ وَمِن مَلِكٍ ... كَما حَكىٰ عَن خَيالِ الطَّيْفِ وَسْنانُ

دارَ الزَمانُ عَلىٰ دارا وَقاتِلِهِ ... وَأَمَّ كِسرىٰ فَما آواهُ إِيوانُ

كَأَنَّما الصَعبُ لَم يَسهُلْ لَهُ سببٌ ... يَومًا وَلا مَلَكَ الدُنيا سُلَيمانُ

فَجائِعُ الدَّهْرِ أَنواعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَّمانِ مَسَرّاتٌ وَأَحزانُ

وَلِلحَوادِثِ سُلْوانٌ يُهَوِّنُها ... وَما لِما حَلَّ بِالإِسلامِ سُلْوانُ[2]

دهىٰ الجَزيرَةَ أَمرٌ لا عَزاءَ لَهُ ... هَوَىٰ لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلانُ[3]

أَصابَها العينُ في الإِسلامِ فَارْتَزَأَتْ ... حَتّىٰ خَلَتْ مِنهُ أَقطارٌ وَبُلدانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيةً ما شَأنُ مَرْسِيَةٍ ... وَأَينَ شاطِبَةٌ أَم أَينَ جيّانُ[4]

(١) يعني شداد بن عاد وبناءه إرم ذات العماد من الدُّرِّ والجوهر.

(٢) السُّلْوان: زوال الغم.

(٣) أُحُدٌ: جبل معروف بالمدينة المنورة، وثَهْلان: جبل بنجد.

(٤) بلنسية ومرسية وشاطبة وجيَّان: مدن أندلسية، وإلىٰ شاطبة يُنسَب القاسم بن فيره الشاطبي صاحب الشاطبية وعليها أكثر اعتماد قراء القرآن المجودين، جيَّان: بلد ابن مالك صاحب الألفية.

وَأَيـنَ قُرطُبـةٌ دارُ العُلُـومِ فَكَـمْ ... مِـنْ عَالِـمٍ قَـدْ سَـما فِيهـا لَـهُ شـانُ

وَأَيـنَ حِمْـصٌ وَمـا تَحويهِ مِـن نُزَهٍ ... وَنَهرُهـا العَـذْبُ فَيَّـاضٌ وَمَـلآنُ

قَوَاعِـدُ كُـنَّ أَركانَ البِـلادِ فَمـا ... عَسـىٰ البَقـاءُ إِذا لَـم تَبـقَ أَركانُ

تَبكِي الحَنيفِيَّةُ البَيضَاءُ مِن أَسَـفٍ ... كَمـا بَكىٰ لِفِـراقِ الإِلْـفِ هَيْمَانُ[1]

عَلـىٰ دِيـارٍ مِـنَ الإِسـلامِ خالِيَـةٍ ... قَـدْ أَقفَرَتْ وَلَهـا بالكُفرِ عُمـرانُ

حَيْثُ المَساجِدُ قَدْ صارَتْ كَنائِسَ ما ... فِيهِـنَّ إِلَّا نَواقِيـسٌ وصُلْبـانُ

حَتَّىٰ المَحاريبُ تَبكي وَهيَ جامِدَةٌ ... حَتَّـى المَنابِرُ تَبكي وَهيَ عيدَانُ[2]

يـا غافِـلًا وَلَـهُ فِي الدَّهْـرِ مَوعِظَـةٌ ... إِنْ كُنـتَ فِي سِـنَةٍ فالدَّهـرُ يَقْظـانُ

وَماشِـيًا مَرِحًـا يُلهِيـهِ مَوطِنُـهُ ... أَبَعْـدَ حِمْـصٍ[3] تَغُرُّ المَـرءَ أَوطانُ

تِلـكَ المُصِيبَـةُ أَنسَـتْ مـا تَقَدَّمَهـا ... وَمـا لَهـا مِـن طِـوَالِ المَهـرِ نِسـيانُ

يـا أَيُّهـا المَلِـكُ البَيضـاءُ رايَتُـهُ ... أَدرِك بِسَـيفِكَ أَهْـلَ الكُفْرِ لا كانوا

يـا راكِبِيـنَ عِتـاقَ الخَيْـلِ ضَامِـرَةً ... كَأَنَّهـا فِي مَجـالِ السَّـبْقِ عُقْبـانُ

وَحامِلِيـنَ سُـيُوفَ الهِنْـدِ مُرهَفَـةً ... كَأَنَّهـا فِي ظَـلامِ النَقْـعِ نيـرَانُ

---

(١) الإِلْـفُ: الحُبّ، الهَيمان: المُحِبُّ حُبًّا جَمًّا (لَدَرَجَةِ الذُّهُولِ عَنْ غَيْرِ ما يُحِبُّ).

(٢) "تبكي وهي عيدان": أخذ هذا من معنىٰ حنين الجذع لفراقه ﷺ.

(٣) أصل حمص بالشام، وأكثر أهلها كانوا يمانية (أي من أهل اليمن)، وسُمِّيت أشبيلية حمصَ الأندلس علىٰ التشبيه والاستئناس؛ فالذين حلُّوا أشبيلية من اليمانية، كان مقدم أكثرهم من الشام..

وَراتِعِينَ وَراءَ البَحْرِ في دَعَةٍ ... لَهُم بِأَوطانِهِمْ عِزٌّ وَسُلطانُ

أَعِندَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَندَلُسٍ ... فَقَدْ سَرَىٰ بِحَدِيثِ القَومِ رُكبَانُ

كَمْ يَستَغيثُ بِنا المُستَضعَفُونَ وَهُمْ ... قَتلىٰ وَأَسْرىٰ فَما يَهتَزُّ إِنسانُ

ماذا التَقاطُعُ في الإِسلامِ بَينَكُمُ ... وَأَنتُمْ يا عِبَادَ اللَهِ إِخوَانُ

أَلا نُفوسٌ أَبِيَّاتٌ لَها هِمَمٌ ... أَما عَلىٰ الخَيرِ أَنصارٌ وَأَعْوانُ

يا مَنْ لِذَلَّةِ قَومٍ بَعْدَ عِزّتِهِمْ ... أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرٌ وَطُغْيانُ

بِالأَمْسِ كانُوا مُلُوكًا فِي مَنازِلِهِم ... وَاليَومَ هُمْ فِي بِلادِ الكُفْرِ عُبْدانُ

فَلَو تَراهُمْ حَيارىٰ لا دَلِيلَ لَهُمْ ... عَلَيهِمْ مِنْ ثِيابِ الذُّلِّ أَلوانُ

وَلَو رَأَيتَ بُكاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمُ ... لَهالَكَ الأَمرُ وَاسْتَهوَتْكَ أَحْزانُ

يا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بينَهُما ... كَما تُفَرَّقُ أَرواحٌ وَأَبْدانُ

وَطفلَةٌ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ بَرَزَت ... كَأَنَّما هِيَ ياقُوتٌ وَمُرْجانُ

يَقُودُها العِلْجُ لِلمَكْروهِ مُكْرَهَةً ... وَالعَيْنُ باكِيَةٌ وَالقَلْبُ حَيْرانُ[1]

لِمِثْلِ هَذا يذوبُ القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ... إِنْ كانَ في القَلْبِ إِسْلامٌ وَإِيمانُ

(١) العِلْج: هو الرجل الغليظ من كفار العجم، والعلوج جمع علج، وكلُّ صلب وشديد من الرجال يسمىٰ علجًا، ويسمىٰ الحمار الوحشي بالعلج، لاستعلاج خلقه وغلظه.

شُؤُونٌ سيَاسيَّةٌ

يقول جريج بالاست في كتابه «أفضل ديمقراطية يستطيع المال شراءَها»[١]:

«بالفعل، لقد شاهدنا بأم أعيننا شركاتِ الإنترنت وهي تتلاشىٰ كما تتلاشىٰ نذور كاذبة بحُبٍّ أبديٍّ. ولكن لا تجزع، فالسماء لم، أُكرِّر لم، تسقط بعد. إن نظرية الفقاعة هذه ما هي إلا ابتكار مجموعة من الأشخاص الطيبين من اليسار الذين أُنهكوا بسبب عربدة التزايد الهائل في ثروات قلة من الناس مقابل تفاقُم عدد الأطباق المتوسِّلة للكثرة الفقيرة. يملك أغنىٰ ثلاثمائة فردٍ في العالم أكثر مما يملكه أفقر ثلاثة مليارات شخصٍ في العالم. من غير الممكن أن ترتفع الأسعار في سوق البورصة بشكلٍ غير محدَّد بالاعتماد فقط علىٰ وعود شركات الإنترنت، التي لا تبيع شيئًا ومع ذلك تراها تدَّعي بامتلاكها حصةً كبيرةً من الثروة العالمية. لقد سمعنا الكثير من العظات، من اقتصاديين حكماء ومن مجموعة من الحمقىٰ من أمثال روبرت شيلر، حول قرب قدوم «يوم الحساب»، ومع ذلك، لم يُحدِثْ انهيارُ سوق البورصة الحاصل في العام ٢٠٠١م/ ٢٠٠٢م أثرًا في الارتفاع الإجمالي في قِيَم الأسهم الذي شوهد في هذا العَقْد.

. . .

(١) أفضل ديمقراطية، جريج بالاست، ص ٢٤٥-٢٤٦.

أخبرني الدكتور إدوارد وولف، مدير مشروع دراسات الدخل في معهد جيروم ليفي في نيويورك، بأن ٥ , ٨٥٪ من النمو المتبجَّح به في ثروة أمريكا بين عامَيْ ١٩٨٣م و ١٩٩٧م قد استولىٰ عليه أغنىٰ ١٪ في أميركا. في ذلك الوقت، ارتفع إجمالي الدخل الأمريكي بشكل هائل، ومع ذلك ٨٠٪ من العائلات الأمريكية لم تتلقَّ منه شيئًا. ارتفع السوق ولكن مَن هو السوق؟ بحسب الدكتور وولف، لقد ربحتْ طبقةُ الواحد بالمائة المطلية بالذهب ٢ , ٩ تريليون من أصل ٣ , ٥ تريليون دولار هي القيمة الإجمالية لسندات وأسهم الأمة».

فَتْوَى شَرْعِيَّةٌ

سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي...المفتي العام للسلطنة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل يجوز أن أقوم بمعاملة أخذ دين من بنك إسلامي والدين يسمى لأجل تأثيث منزل بشرط أن أقوم بإحضار فاتورة من محل تجاري متخصص في بيع أثاث المنازل وعند قيام البنك بتحويل المبلغ المراد إلى مالك محل الأثاث أقوم أنا بأخذه من مالك المحل وأشتري به سيارة طبعا بعد الاتفاق السابق مع مالك المحل في ذلك؟؟ نرجو التوضيح للحكم الشرعي في ذلك.....

الجواب:

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وبعد:

هذا العقد بيع مرابحة للآمر بالشراء وهو في صورته الفقهية البسيطة من بيوع الأمانة التي تقوم على إخبار البائع (وهو البنك هنا) بثمن الشراء مع ربح يتفق عليه سلفا، والربح هنا يستحقه المصرف من وراء شرائه حقيقة لسلعة موجودة من المجهز أو العارض بثمنٍ وبيعها بثمن أعلى منه للزبون ويكون ربحه فرق ما بين الثمنين.

فإن لم تكن هناك سلعة رأساً وإنما هي نقود بنقود أكثر منها -كما في السؤال- كان العقد ربوياً يأثم كلُّ من أتمه راضياً به وهو يعلم، ويُعدُّ متعاوناً لإتمام معاملة ربوية فيدخل دائرة اللعن الثابت عن النبي ﷺ.

أما المصرف إن كان عالماً بذلك وأتمَّ فإثمه كإثم السابقين، وإن كان ذلك يعبر عن سياسة المصرف كله فالمصرفُ كلُّه آثم ولا يستحق أن يطلق عليه أنه مصرف إسلامي بل هو مصرف ربوي.

وإن كان الذي أتم المعاملة وهو يعلم بحقيقة الأمر موظفاً في المصرف، والمصرف وهيئته الشرعية لا يقرون الأمر ولا يرضون به فالموظف هو الذي أتم المعاملة الربوية وهو الذي يدخل دائرة اللعن التي جاء بها الحديث عن النبي ﷺ، وهو خائن للأمانة بينه وبين ربه، وخائن للأمانة بينه والمصرف، وخائن للأمانة بينه وبين الناس، وهو حريٌّ بأن تنهى خدماته وأن يكون تجنيب الأرباح عند تصحيح المعاملة من راتبه الشهري.

والواجب على المصارف أن لا تتعامل مع المحلات التي يثبت عليها هذا التلاعبُ أو مثله بل تجعلها في فئة المحذَّر منها، وهكذا الزبائن الذين يتعاملون هذا التعامل ويمضون في طريق التحايل والكذب فيقعون ويوقعون غيرهم في الحرام، واللّه الموفق للخير وهو الأعلم بالصواب.

د. ماجد بن محمد الكندي

أمين فتوى

٢٦ محرم ١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧/١٠/١٧م

عُظماءُ ومشاهيرُ

فيما يلي نماذج لبعض مَن وصلوا إلىٰ مراتب عالية من العلم والرياسة، رغم انسدادِ الدُّنيا عليهم، وكثرة الابتلاءات التي مرُّوا بها، فتأمَّل ذلك، وادرَأْ به المعاذير التي تأتي بها النفس لتُثبِّطك عن الوصول إلىٰ غاياتك وأهدافك.

✓ عطاء بن أبي رباح: ولد بالجَندَ (بلدة باليمن) وكان مولده سنة سبع وعشرين أثناء خلافة عثمان بن عفان، وكان أسود أعور أشل أعرج، ثم عمي في آخر عمره، وكان مولًى لآل أبي خيثم الفهري القرشي، ورغم كل ذلك كان من سادات التابعين فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا، لم يكن له فراش إلا المسجد الحرام إلىٰ أن مات. كان يجلس للفتيا في مكة بعد وفاة حبر الأمة عبد الله بن عباس، ولما قَدِم ابن عمر مكة فسألوه فقال: «أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح؟»

✓ الأحنف بن قيس: هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين من إلياس بن مُضَر (ت ٦٧هـ)، ضُرِبَ به المثل في الحِلْم والورع فكانوا يقولون: «في حِلْم أحنف، وذكاء إياس»، كان سيد تميم، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، ولقد دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم اغفر للأحنف))، فكان الأحنف يقول: «ما شيء

أرجئ عندي من ذلك». كان حليمَ العرب قاطبةً، رغم أنه كان نحيفَ الجسم، أحدَبَ الظهر، أحنىٰ الساقين، ضعيفَ البنية.

✓ الأعمش: هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي (ت ١٤٨ هـ)، وُلِد في قرية في طبرستان شمال إيران، وقَدِم مع أهله إلىٰ الكوفة، ودخلوا في ولاء بني كاهل [أي صار من الموالي]، تعرَّض لمرض في عينيه في صغره، وجرَّاء ذلك أصابه العَمَش، وهو ضعف في البصر مع سيلان دمع، فاشتهر بالأعمش، وهو تابعيٌّ من حُفَّاظ الحديث النبوي، ومُحدِّثٌ من الثِّقات، كان عالمًا بالقرآن والقراءات والفرائض والحديث، لقَّبه شمس الدين الذهبي بـ «شيخ المُحدّثين»، ولم يمنعه كونه من الموالي، ضعيفَ البصر، فقيرَ ذات اليد، ممزَّقَ الثياب، رثَّ الهيئة والمنزل، أن يصل إلىٰ ما وصل إليه من مراتب العلم والزُّهد.

فُنُونُ الدَّعْوَةِ إلى الله[١]

قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل:١٢٥]، ولعلَّ من الأولىٰ والأجدر ضبطَ مفهوم الآية الكريمة ومعناها من خلال أقوال المفسرين واستدلالاتهم واستنباطاتهم:

✓ يقول الإمام القرطبي[٢]: «في الآية مسألة واحدة: هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعوَ إلىٰ دين الله وشرعِه بتلطُّف وليـن دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يُوعَظ المسلمون إلىٰ يوم القيامة؛ فهي مُحكَمة في جهة العصاة من الموحِّدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين[٣]، وقد قيل: إن مَن

(١) أساليب الدعوة، أمين الدميري، مقال بموقع الألوكة مع بعض التصرُّف، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://www.alukah.net/sharia/0/72130

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٠، ص ٢٠٠.

(٣) الآية صالحة حتىٰ مع الذي لا يُرجىٰ إيمانه مطلقًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨]، وحتىٰ الآية التي بعدها: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٩]، لم تنهَ عن الدعوة وإنما نَهَتْ عن الموالاة.

أمكنت معه هذه الأحوالُ من الكفار ورُجِي إيمانه دون قتال، فهي فيه مُحكَمة، والله أعلم».

✓ يقول الإمام النَّيسابوري[1]: «وفيه أن طريقة إبراهيم ﷺ في الدعوة كانت هكذا، وتقرير ذلك أن الداعيَ إلىٰ مذهب ونِحلة لا بُدَّ أن يكون مستندًا علىٰ حجة، وهي إما أن تكون يقينيةً قطعية مبرَّأة من شائبة احتمال النقيض، وإما أن تكونَ مفيدةً للظن القوي والإقناع التام، وإلا لم تكن ملتفَتًا إليها في العلوم، وقد يكون الجدال والخصام غالبًا علىٰ المدعو، فيحتاج حينئذٍ إلىٰ إلزامِه وإفحامه بدليل مركَّب من مقدِّمات مشهورة مسلَّمة عند الجمهور، أو مقدِّمات مسلَّمة عند الخَصم».

فقوله ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ إشارة إلىٰ استعمال الحُجَج القطعية المفيدة لليقين، والمكالمة بهذه الطريقة إنما تكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد إلىٰ درجة الكمال، وقوله: ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ إشارة إلىٰ استعمال الدلائل الإقناعية الموقعة للتصديق بمقدِّمات مطلوبة، وأهل هذه المكالمة أقوامٌ انحطَّت درجتُهم عن الطائفة الأولىٰ، إلا أنهم باقون علىٰ الفِطرة الأصلية، طاهرون عن دَنَس الشغب، وكُدورات الجدال، وهم عامة الخَلق، وليس للدعوة إلا هذين الطريقين، ولكن الداعي قد يُضطَر مع الخَصم

(١) غرائب القرآن، النيسابوري، ج ٤، ص ٣١٦.

الألـدِّ إلـىٰ اسـتعمال الحجـج الملزمـة المفحمـة كمـا قلنـا؛ فلهـذا السـبب عطـف علـىٰ الدعـوة قولَـه ﴿وَجَادِلْهُـمْ بِالَّتِي هِـيَ أَحْسَـنُ﴾؛ أي: الطريقـةِ التـي هـي أحسـن، فـكأن طريـق الجـدال لـم يكـن مقصـودًا، وإنمـا اضطـر الداعـي إليـه لأجـل كـون الخصـم مشـاغبًا، وإنمـا استحسـن هـذا الطريـق؛ لكـونِ الداعـي محقًّـا، وغرضـه صحيحًـا، فـإن كان مبطِـلاً وأراد تغليـطَ السـامع، لـم يكـن جدالُـه حسَـنًا، ويسـمَّىٰ دليلـه مغالطـة، هكـذا ينبغـي أن يُتصـوَّر تفسـيرُ هـذه الآيـة؛ فـإن كلام المفسـرين الظاهريـن فيـه غيـر مضبـوط، ولمـا حـث علـىٰ الدعـوة بالطـرق المذكـورة، بيَّـن أن الهدايـة والرشـدَ ليـس إلـىٰ النبـيِّ ﷺ، وإنمـا ذلـك إلـىٰ الله تعالـىٰ فقـال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾؛ أي: هـو العالِـم بضـلال النفـوس واهتدائهـا، وكدوراتهـا وصفائهـا، وبمـن جعَـل الدعـوة سببًا في سـعادتها، أو واسـطةً لشـقائها. إن الدعـوةَ تتضمَّـن تكليـف المدعويـن بالرجـوعِ عـن الدِّيـن المألـوف، والفِطـام منـه شـديد، وربمـا تنجـرُّ إلـىٰ المقاتلـة، فحينئـذٍ أمَـر الداعـيَ وأتباعَـه برعايـة العـدل والإنصـاف في حـال القتـالِ قائـلًا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحـل:١٢٦]؛ أي: إن رغبتـم في اسـتيفاءِ القِصـاص إن وقَـع قتـلٌ، فاقنَعـوا بالمِثـل ولا تَزيـدوا عليـه».

وبالنظـر والتدبُّـر في الآيـة الكريمـة ومـا ذُكِـر فيهـا مـن أقـوال، تتضـح أمـورٌ تجـدرُ الإشـارة إليهـا، وهـي:

أولًا: حرف الباء في قوله تعالىٰ: ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ جاء في المعجم: حرف جر، وهي لإلصاق الفعل بالمفعول به، تقول: مررت بزيد، وجائز أن يكونَ مع استعانة، تقول: كتبتُ بالقلم[1]. إذًا فالباء للاستعانة، ولإلصاق الفعلِ بالمفعول به، ويكون المعنىٰ: ادعُ ملتزمًا بالحكمة، ولتكنِ الحكمةُ ملازمةً للدعوة، وادعُ مستعينًا بالحِكمة، ولتكنِ الحكمة عونًا لدعوتك.

ثانيًا: في الآية فِعلان: «ادعُ» و«جادل»، يربطهما حرفُ العطف: «ادعُ» (بالحكمة) و (بالموعظة)، «وجادل» ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وجادَلَه: خاصَمَه، والأصلُ- كما جاء في كلام الإمام النَّيسابوري- هو الدعوة، أما الجدال، فهو ظرفٌ قد يُضطَرُّ إليه الداعي، ويجرُّه إليه المدعو، كما جاء في قوله: «ولكن الداعي قد يُضطَرُّ مع الخَصم الألدِّ إلىٰ استعمال الحُجَج الملزمة المفحمة؛ فلهذا السببِ عطف علىٰ الدعوة قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: وجادِلْهم في حال المُخاصَمة بالحسنىٰ..».

ثالثًا: إن الدعوةَ بالحكمة والموعظة الحسنة هي لصِنفين من الناس؛ أولهما أعلىٰ درجةً من الثاني، وأقربُ إلىٰ القَبول والاستجابة...، وفي الحالتينِ فإن الدعوةَ إنما تكونُ باستعمال الحُجَج القطعية، والدلائل الإقناعية، المفيدة لليقين، والموقِعة للتصديق. أما الجدال، فهو مع الخَصِم الألدِّ أو المشاغب.

(١) مختار الصحاح، الرازي، ص ٢٨.

جاء في المعجم: جادله: خاصمه...، والاسم: الجدل، وهو شدَّة الخصومة[١]. ومع شدةِ الخصوم فلا بُدَّ من الالتزامِ بالهدف من الجدال، وهو الهداية؛ لذا وجَب أن يكون بالتي هي أحسن.

رابعًا: إن الداعي مُبلِّغ وسبب، ولا يملِك إلا هدايةَ القول والإرشاد والبيان والنُّصح، أما التوفيق للهداية، فلا يملِكُه إلا الله تعالىٰ وحده؛ لذا جاء في آخر الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥]، ومن هنا فإن الداعيَ المخلِص يحرصُ علىٰ هداية المدعو، بل وعليه أن يدعوَ الله تعالىٰ للمدعو بعد فراغه من دعوته، ومن ناحية أخرىٰ فعلىٰ الداعي ألا يغترَّ إذا رأىٰ دعوتَه ناجحة، بل يحمد اللهَ الذي بحمدِه تتمُّ الصالحات.

خامسًا: إن دعوةَ الأصناف الثلاثة ليست هي نهايةَ المطاف؛ فقد يحدُثُ أن تُواجِهَ الدعوةُ في إحدىٰ مراحلها- خصوصًا المتقدِّمة- خصمًا عنيدًا أو معتديًا أو متطاولًا وغير شريف، فتتحتم المواجهة؛ يقول الإمام النيسابوري: «ثم إن الدعوة تتضمَّنُ تكليف المدعوين بالرُّجوع عن الدين المألوف، والفطام منه شديد، وربما تنجرُّ إلىٰ المقاتلة...»؛ ولهذا فإنه إذا كان القولُ اللين هو الأول، فليس هو الأخير؛ فإبراهيم عليه السلام دعا أباه - وكان صانعًا للأصنام - بالرِّفق واللِّين: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [مريم:٤٢]، ثم دعا قومه بالحجة تلو

(١) المرجع السابق، ص ٥٥.

الحجة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:٦٩-٧٣]، ثم بعد ذلك توعَّد هذه الأصنامَ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٥٧]، ثم كسَرها وأنفَذ وعيده: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء:٥٨]، وفي سورة الأنعام ثناءٌ علىٰ إبراهيم ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣]، وهنا في سورة النحل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٠]، ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ خاتَم المرسَلين ﷺ أن يتَّبِعَ نهج إبراهيم ﷺ؛ لأنه دعا قومَه وتعامَل معهم بالحكمة، وهي كما قال الإمام النيسابوري: «فقولُه: ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ إشارة إلىٰ استعمال الحُجَج القطعيَّة المُفِيدة لليقين».

• وفي تفسير الفخر الرازي[1]: «بالحكمة: أي بالبرهانِ والحجة...».

سادسًا: إن فهمَ الآية الكريمة يتطلَّب النظرَ فيما قبلها لمعرفة وجهِ الصلة والتناسبِ بين الآيات؛ لأن فَهْمَ آيةٍ حسب موقعِها وقَطْع الصلة بما قبلها وما بعدها لا يؤدِّي إلىٰ فَهْمِ الآية فهمًا صحيحًا.

ونظرة في الآيات قبلها نجد حديثًا عن إبراهيمَ ﷺ، وأنه كان

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢، ص ٣٢٦.

أَمَّـةً- أي يُقتـدَىٰ بـه؛ قالـه ابـن كثيـر[١]- ثـم أمْـرًا للنبـيِّ ﷺ باتِّبـاع إبراهيـم ﷺ، ثـم أمـرًا بالدعـوةِ بالحِكمـة والموعظـة الحَسَـنة؛ أي: كمـا فعَـل إبراهيـمُ ﷺ في دعوتِـه لقومِـه واقتداءً بـه، وبيـان أن الهدايـة بيـد الله وحـده؛ فوالـد إبراهيـم لـم يؤمـن، وكذلـك قومـه، بعـد إلزامهـم الحجـة، ثـم جـاء الأمـرُ بالمعاقبـة بالمثـل، وذلـك في حـال تحـوَّل الأمـرُ إلـىٰ العـدوان علـىٰ الدعـوة وأشـخاصها.

إن الدعـوةَ في أول الأمـر وآخـره هـي طلـبُ الهدايـة، وترغيـب النـاس في الإيمـان بـالله وحبـه وتعظيمـه؛ لذا وجَـب أن يكون الأسـلوب رقيقًـا مؤثِّـرًا لينًـا، فيـه إخـلاص وحـرص وصـدق، وبالحجـة الدامغـة البليغـة، واسـتعمال البراهيـن القويـة، فتلـك هـي الحكمـة البالغـة- أي البالغـة غايتهـا- لقولـه تعالـىٰ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾[القمـر:٥]، والفعـل (بلـغ) لـه معـانٍ كثيـرة، ومنهـا[٢]:

العبارة	المعنىٰ
بَلَغَ المكانَ	وصَل إليه
بَلَغَ الغلامُ	أدرك
بَلُغَ الرجلُ	صار بليغًا
البلاغ	الكفاية
البلاغة	الفصاحة
التبليغ	الإيصال
بالِغ	جيد

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤، ص ٦١٠.
(٢) مختار الصحاح، الرازي، ص ٣٩.

وعلىٰ هذا، فإن مفهومَ الحِكمة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمفاهيم الآتية: البلاغ، التبليغ، البلاغة، البلوغ، الوصول، الإدراك، الكفاية. فإذا توافَرَتْ في الدعوة هذه المفاهيمُ، كانت دعوةً بالحكمة، فالدعوة بلاغ وتبليغ.

ولكي تصل غايتها فلا بُدَّ أن يكون القولُ بليغًا؛ أي: فصيحًا يصل إلىٰ القلب والعقل، وتكون الحجة قويةَ الدلالة، كافية للعقل، شافيةً للقلب، لا تترك مجالًا للشك ولا للتردُّد، فيتحقق بلوغ الغاية، وهي الهداية بإذن الله تعالىٰ، أو إفحام الخصم، فيظهر موقفُه، إما قابلًا مستجيبًا، وإما رافضًا معاندًا.

سابعًا: إنها الدعوةُ إلىٰ سبيل الله ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾؛ أي الدعوة إلىٰ رب العالمين، والمتفضِّل بالنِّعَم، والمتفرد بالوحدانية، والمتَّصف بكل صفات الجلال والجمال والكمال، والمنزَّه عن كل صفات العجز والنقص ﷻ، ومن هنا كان عُلُوُّ شأن المهمة؛ مهمة الدعوة إلىٰ العظيم الكبير المتعال، الغني عن الخلق أجمعين.

ثامنًا: استخلاص معنىٰ (الدعوة بالحكمة) أو معنىٰ الحكمة، ويتضمن ما يلي:

أ- استعمال الحجج والبراهين القوية المُفحِمة اليقينيَّة.

ب- مراعاة حال المدعو؛ فدعوة الآباء والأقربين تحتاج إلىٰ

تـودُّد ولِيـن، ودعـوة العـوامِّ - بالإضافـة إلـىٰ حُسْـن القـول - تحتـاج إلىٰ ترغيـبٍ وترهيـب، واستدراجهم ومداراتهـم ومجاراتهـم، بهـدفِ عـدم التصـادمِ مـع المخالفيـن مـع أول مواجهـة حتـىٰ يتخلَّـوا عـن مألوفاتِهـم.

ج- مراعـاة المرحلـة التـي تمـر بهـا الدعـوة؛ مـن حيـث التكويـن، أو الاسـتضعاف، أو الاسـتخلاف، أو بيـن هـذه المراحـل وبعضهـا.

شخصيةُ العَدَد

(الشيخ امحَمَّد بن يوسف اطفيَّش[١])

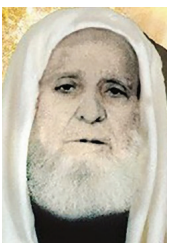

هـو: امحَمَّـد بـن يوسـف بـن عيسىٰ بـن صالـح بـن عبـد الرحمـن بـن عيسىٰ بـن إسـماعيل بـن محَمَّـد بـن عبـد العزيـز بـن بكيـر الحفصـي، اطفيَّـش، الشـهير بقطـب الأئمـة، أشـهر عالـم إباضـيٍّ بالمغـرب الإسـلاميِّ في العصـور الحديثـة.

نسبه

مـن عائلـة شـهيرة بالعلمـاء مـن بنـي يَسْـجَن، مـن عشـيرة آل بامحمَّـد، وينتهـي نسـبُه إلىٰ عمـر بـن حفـص الهنتاتـي، مـن العائلـة الحفصيَّـة المالكـة بتونـس بيـن (٦٢٥-٩٨٣هـ/ ١٢٢٩-١٥٧٤م)، وفي بعـض كتبـه يُنهي الشـيخ اطفيَّـش نسـبَه إلىٰ أبـي حفـص عمـر بـن الخطَّـاب.

أمـا أمُّـه فهـي: السـيدة مامَّـة سَـتِّي بنـت الحـاج سـعيد بـن عـدُّون بـن يوسـف بـن قاسـم بـن عمـر بـن موسىٰ بـن يـدَّر مـن عشـيرة آل يـدَّر ببنـي يَسْـجَن.

(١) معجم أعلام الإباضية، باباعمي، ج ٢، ص ٣٩٩، مع بعض التصرُّف.

مولده ونشأته العلمية

ولد بغرداية لما انتقل إليها والده، وعاش بها طفولته الأولىٰ، وفي الرابعة من عمره تُوفِّي والده، وتركه يتيمًا تحت كفالة والدته. توسَّمت فيه بوادر النبوغ، فعهدت به إلىٰ أحد المربِّين لحفظ القرآن، فختمه وحفظه وهو ابن ثمانِ سنوات، ففتح له مجال العلم، وسارع إلىٰ دور العلماء وحِلَق الدروس بالمسجد.

أخذ مبادئ النحو والفقه عن أخيه الأكبر: إبراهيم بن يوسف، وتلقَّىٰ مبادئ المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف وينتن، وكان يحضر حلقة الشيخ عمر بن سليمان نوح مع أخيه إبراهيم، وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسىٰ في دار التلاميذ اليَسْجَنِيِّين، كما كان يحضر دروس الشيخ بابا بن يونس في مسجد غرداية.

بعد أخذه لهذه المبادئ، شمَّر عن ساعد الجدِّ والتحصيل، بعزيمة لا تعرف الملل، يؤازره ذكاء حادٌّ، وذاكرة وقَّادة، ورغبة في العلم لا تعرف الحدود. نشأ عصاميًّا، ولم يسافر للدراسة خارج موطنه، وجعل دأبَه الحرصَ علىٰ اقتناء الكتب واستنساخها، يجتهد في طلبها وشرائها من كُلِّ البلدان، رغم قِلَّة ذات اليد، وصعوبة الاتصال، فتجمَّعت لديه مكتبة غنيَّة، تعتبر فريدة عصرها بالنظر إلىٰ ظروف صاحبها، وبُعده عن مراكز العلوم والعمران. ومما ساعده علىٰ التحصيل اقتناؤه لبعض خزائن العلماء؛ منها خزانة الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وقد تزوج امرأة علِمَ أنها تملك مكتبة ثريَّة ورثتها عن أبيها.

وما كاد يبلغ السادسة عشرة، حتىٰ جلس للتدريس والتأليف، ولما بلغ العشرين أصبح عالِمَ وادي ميزاب، ثمَّ بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته، كما يذكر ذلك بنفسه في كِتَابه «شامل الأصل والفرع». هذه الشَّخصِيَّة الموسوعيَّة كانت نادرة العصر في رسوخها وعطائها العلميِّ، ومع ذلك لم يقصُر الشيخ جهوده في هذا المجال، بل اهتمَّ بالإصلاح الاجتماعيِّ، ومحاربة الجهل والبدع، وَتولَّىٰ رئاسة مجلس العَزَّابَة ببني يَسْجَن، كما تولَّىٰ منصب القضاء، ثمَّ اعتزله لما بسط الاستعمار الفرنسيُّ نفوذه علىٰ منطقة ميزاب سنة ١٨٨٢م.

كان القطب ﷺ عدوًّا عنيدًا لفرنسا، وَمِمَّن وقف بقوَّةٍ في وجه الاحتلال، ودعا إلىٰ مقاطعة المستعمر وعدم التعامل معه، ويُذكَر أنه نصب خيمة في حومة الدبدابة بين غرداية وبني يَسْجَن، احتجاجًا علىٰ دخول فرنسا المنطقة، وكان حريصًا علىٰ وحدة المسلمين، يعصره الألم علىٰ ما آل إليه أمرهم، من فرقة وهوان، وذُلٍّ واستعمار، يدعو بالنصر للمجاهدين في كُلِّ بلاد العالم الإسلاميِّ، وقد دفعه هذا التَّصَوُّر إلىٰ أن يعيش علىٰ أمل التخلُّص من المستعمرين، وأن يُفَكِّر في المشاركة بما يستطيع لتحقيق هذا الأمل، فجعل الجهاد جزءًا من رسالته في الحياة، كما يقول:

لَـوْلاَ ثَـلاَثٌ هُـنَّ: تَعْلِيـمُ جَاهِـلٍ وخِدْمَةُ رَبيِّ وَالجِهَـادُ لِذِي الكُفْرِ
لَمَا كُنْتُ أَخْشَىٰ المَوْتَ وَالمَوْتُ لاَزِمٌ وَإِلاَّ فَمَـا الحَيَـاةُ وَالمَـرْءُ في قَهْـرِ

وكان مُؤيِّـدًا للخلافـة العثمانيَّـة- علـىٰ مـا داخَـل نظامهـا مـن انحـراف- لأنَّهَـا كانـت تُمثِّـل وحـدة المسـلمين، وكانـت لـه مراسـلات مـع السـلطان عبـد الحميـد الثاني، وغيـره كسـلطان زنجبـار وإمـام عُمـان، وكان معتـزًّا بإسـلامه، غيـورًا علـىٰ دينـه؛ فقـد أُهدِيـتْ لـه النياشـين، وشـهادات التقديـر مـن مختلـف سـلاطين العالـم الإسـلاميِّ، وبخاصَّـة لمـا أجـاب علـىٰ لغـز المـاء، فقبِـل هـذه الهدايـا، إلا نيشـان الحاكـم الفرنسـيِّ، فإنـه لمـا جـاء مُمثِّـل الحكومـة ليوشِّـح صـدر الشـيخ بـه، قَـدَّمَ لـه طـرف ردائـه السـفليَّ ليُعلِّقـه عليـه، وَلَمَّـا سُـئِل عـن ذلـك قـال: «الإسـلام يعلـو ولا يُعلـىٰ عليـه».

طبعـت جمعيـة التـراث بغردايـة في وادي ميـزاب رسـالتين للماجسـتير تتحدَّثـان عـن شـخصية الإمـام القطـب؛ الأولـىٰ للباحـث المرحـوم جهـلان عـدُّون بعنـوان «الفكـر السياسـيُّ عنـد الإباضيَّـة مـن خـلال آراء الشـيخ اطفيَّـش»، والثانيـة للباحـث مصطفـىٰ بـن الناصـر وينتـن بعنـوان «آراء الشـيخ امحَمَّـد بـن يوسـف اطفيَّـش العَقَدِيَّـة».

شـهد لـه بالرسـوخ في العلـم علمـاء كثيـرون، منهـم: الشـيخ محمـد عبـده، والشـيخ زينـي دحـلان، وبعـض علمـاء الحجـاز، ولقَّبـه الشـيخ نـور الديـن السـالمي بـ «قُطْـب الأئمـة». تُوفِّـي عليـه رحمـة الله بمـرض دام أسـبوعًا، بعـد أن قضـىٰ قرابـة قـرن في الجهـاد العلمـيِّ، والإصـلاح الاجتماعيِّ.

معهده

أنشأ القطب معهدًا للتدريس ببني يَسْجَن، تخرَّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون، انبثُّوا في أقطار المغرب والعالم الإسلامي. له منهج في التدريس يعتمد على استغلال الوقت، والتركيز في التلقين. تستمرُّ دروسه طيلة أيام الأسبوع، من الضحىٰ إلىٰ الزوال، إلا يوم الجمعة، ثمَّ يزيد دروسًا في المساء بعد العصر، ولا يُدرِّس في الليل إلا الغرباء والنجباء والمتفوِّقين؛ لأنَّه كان يُخصِّص الليل للتأليف والإجابة عن الرسائل والاستفتاءات المتهاطلة عليه؛ وكان غزير المادة، طويل النَّفَس، متفانيًا في العلم، يُدرِّس أحيانًا أحد عشر درسًا مختلفًا في اليوم الواحد.

كان يستعمل اللسان البربريَّ المحلِّيَّ كأداة للتدريس عند الاقتضاء، ولا يحاسب تلاميذه علىٰ الغياب أو الإبطاء، وإذا رأىٰ منهم تعبًا روَّح عنهم بما يدفعهم إلىٰ النشاط والتركيز، ويُولي عناية خاصَّةً لأسئلة تلاميذه، فيكتبها ويُحقِّق مسائلها، ولا يعجز عن الرجوع إلىٰ المصادر، ولو أثناء الدرس.

بهذا المنهج في التعليم، والسعة في العلم، انهال عليه الطلبة من مختلف الأقطار الإسلامية، وتخرَّجوا علىٰ يده، وكلُّهم رجال عاملون في مختلف مواقع الحياة: تأليفًا وتعليمًا وقيادة وقضاءً وإصلاحًا، وبلغ عدد تلاميذه العشرات، من أشهرهم من ميزاب: أبو إسحاق إبراهيم اطفيَّش، وأبو اليقظان إبراهيم بن عيسىٰ رائد

الصحافة العربية في الجزائر، ومن ليبيا: المجاهد بالسيف والقلم الداعية سليمان باشا الباروني، ومن تونس: المؤرِّخ سعيد بن تعاريت، ومن المدينة المنوَّرة: أحمد الرفاعي، وغيرهم كثير مِمَّن بلغ المشيخة.

تآليفه

من أهمِّ آثار الشيخ اطفيَّش تآليفه التي أغنىٰ بها المكتبة الإسلامية، كمًّا ونوعًا، فقد عدَّها بعضهم بأنها تبلغ الثلاثمائة مؤلَّف، ما بين كتاب ورسالة، واتَّسع له العمر، ليترك هذا التراث الجليل، فقد عُمِّر سِتَّة وتسعين عامًا، وكان حريصًا علىٰ الكتابة، لا يتركها في حضر ولا سفر، ووصفه تلميذه أبو اليقظان بأنه «لا يُعرف إلا في تدريس علم، أو تأليف كتب»، فألَّف في بني يَسْجَن، والقرارة، ووارجلان، وبريان، والحجاز، وفي السفينة قاصدًا الحجَّ، وشملت تآليفه مختلف فروع المعرفة، في المنقول والمعقول، ومنها:

١- في تفسير القُرآن، له ثلاثة تفاسير هي:

✓ تيسير التفسير: هذا آخر تفاسيره وأهمُّها؛ إِذْ كتبه بعد نضجه العلميِّ؛ وقد أنجز الباحث: بوتردين يحيىٰ رسالة الماجستير حول منهج التفسير عند القطب من خلاله. طُبِع هذا التفسير

طبعة قديمة في الجزائر في عام ١٣٢٦هـ في سبع مجلدات ضخمة، وطُبِع مرة أخرىٰ في مطبعة البابي الحلبي في مصر، ثم طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ما بين ١٩٨٢م إلىٰ ١٩٨٧م في أربعة عشر جزءًا، ثم أُعيد طبعه بتحقيق الشيخ إبراهيم طلاَّي.

✓ داعي العمل ليوم الأمل: هذا تفسير لم يُتمَّه، بدأه من الخاتمة وانتهىٰ إلىٰ سورة الرحمن، ولا يزال مخطوطًا في مُجَلَّد كبير، وقام بتصحيحه الأستاذ مصطفىٰ باجو، وضبطه وصفَّفه الباحثان محمَّد باباعمي ومصطفىٰ شريفي، وهو ينتظر الطبع، وتوجد نسخة مخطوطة من التفسير بمكتبة القطب، وأخرىٰ في مكتبة الشيخ حمُّو باباوموسىٰ بغرداية.

✓ هِميان الزاد إلىٰ دار المعاد: بدأ الشيخ في تأليفه وله من العمر أربع وعشرون سنة، وقد نال الباحث عكِّي علواني درجة الماجستير في منهج التفسير عند القطب من خلال الهميان، وتم طباعة التفسير طبعة قديمة في المطبعة السلطانيَّة بزنجبار، ثم طُبِع بمطابع سجل العرب بالقاهرة، ثم قامت وزارة التراث القومي بالسلطنة بنشره في ١٣ مُجَلَّدًا، ابتداءً من سنة ١٩٨٠م.

٢- في التجويد:

له مؤلَّفان هما: «تلقين التالي لآيات المتعالي»، ولا يزال

مخطوطة، وكتاب مطبوع بعنوان «جامع حرف ورش».

٣- في الحديث، له ثلاثة مؤلَّفات:

✓ ترتيب الترتيب: وهو إعادة ترتيب مسند الإمام الربيع بن حبيب، بعد ترتيب أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، وتمت طباعته في الجزائر في عام ١٣٢٦هـ.

✓ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل-ﷺ: تمت طباعته بتحقيق محمد عبد القادر عطا.

✓ وفاء الضمانة بأداء الأمانة: طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.

٤- في السيرة النبوية:

له كتابان لا يزالان لم يُطبعا؛ أولهما بعنوان «مسائل السيرة»، والآخر بعنوان «شرح نونيَّة المديح»، وهو شرح لنونيَّة أرجوزة وضعها ابن ونان المغربي في مدح خير البريَّة محمد عليه الصلاة والسلام.

٥- في التوحيد وعلم الكلام:

للقطب ﷺ ثمانية عشر كتابًا ورسالة في التوحيد وعلم الكلام،

وهي:

المطبوعة	المخطوطة
✓إزهاق الباطل بالعلم الهاطل (طُبِع عام ١٣١٧هـ)	✓البرهان الجلي في الردِّ علىٰ الجربي عَلِي
✓الجُنَّة في وصف الجَنَّة	✓التقريرات علىٰ حاشية الديانات للسدويكشي، وتتمَّتها للمصعبي
✓الحُجَّة في بيان المحجَّة في التوحيد بلا تقليد	✓حاشية السؤالات لأبي عمرو عثمان
✓الذُّخْر الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ	✓حاشية علىٰ شرح النونيَّة
✓الردُّ علىٰ الإنجليزيِّ الطاعن في الدين	✓حاشية علىٰ كتاب "الموجز" لأبي عَمَّار
✓الردُّ علىٰ الصُّفْرِيَّة والأزارقة	✓شرح أصول تيبغورين
✓الردُّ علىٰ العقبيِّ	✓شرح لامية ابن النضر العماني
✓القول المتين (شرح لمُقَدِّمَة الشيخ تيبغورين بن عيسىٰ الملشوطي)	✓عدم الرؤية وإدحاض مذهب أهل الفرية
✓شرح عقيدة التوحيد لعمرو بن جميع	✓فتح الباب للطلاب، شرح معالم الدين لعبد العزيز الثميني

٦- في أصول الفقه:

لـه في هـذا الفـن كتـاب «فتـح الله: شـرح شـرح مختصـر العـدل والإنصـاف»، وهـو موسـوعة في أصـول الفقـه المقـارن، ولا يـزال مخطوطـة، ولـو طُبِـع لـكان في اثنـي عشـر مُجَلَّـدًا.

٧- في التاريخ والسيرة النبوية، له خمس مؤلَّفات:

- ✓ إزالة الاعتراض عن مُحقِّي آل إباض (مطبوع)
- ✓ الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان (مطبوع)
- ✓ الرسـالة الشـافية في بعـض تواريـخ وادي ميـزاب (نسـخة مختصـرة مطبوعـة، وأخـرىٰ موسَّـعة لا تـزال مخطوطـة)
- ✓ السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة (مطبوع)
- ✓ الغَسول في أسماء الرسول (مطبوع)

٧- في الفقه: وهو أوسع مجالات تأليفه:

المطبوعة	المخطوطة
✓شرح كتاب النيل وشفاء العليل؛ وهو موسوعة فِقهِيَّة جامعة لآراء المذاهب الإسلامية، يقارن فيها بين الأقوال بروح متفتِّحة، ويُرجِّح ما يراه بِالحُجَّةِ والدليل، وأصبح هذا الكِتَاب معتمد الإباضيَّة في الفقه، وطُبِع مرارًا، وبواسطته تعرَّف العالم الإسلاميُّ علىٰ الفقه الإباضي، واعتمدته لجان موسوعات الفقه الإسلاميِّ في مصر والكويت، وقد نظمه الشيخ محمد بن شامس البطَّاشي في ١٢٤ ألف بيت، سَمَّاه "سلاسل الذهب في الأصول والفروع والأدب"، كما أنَّ جمعيَّة التراث بغرداية تجتهد لإعداد الفهارس الشاملة لشرح النيل، وقد طَبَعَتْ الجزء الخاصَّ بالفهارس التقنيَّة، وبقي فهرس المسائل الفقهية. ✓إطالة الأجور وإزالة الفجور، تحقيق: عمر بازين ✓الذهب الخالص المنوَّه بالعلم القالص	✓ترتيب تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديب، وهو ترتيب كتاب لعمرو بن رمضان التلاتي. ✓ترتيب كتاب اللُّقَط للشيخ عمرو بن رمضان التلاتي. ✓ترتيب المدوَّنة الكبرىٰ لأبي غانم بشر بن غانم الخراساني. ✓ترتيب نوازل نفوسة، وهي مجموعة أجوبة ورسائل لبعض أئمة الإباضيَّة. ✓حاشية أبي مسألة، لأبي العَبَّاس أحمد. ✓حاشية القناطر، لإسماعيل الجيطالي. ✓حاشية علىٰ جواب ابن خلفان ✓حاشية علىٰ شرح الرائية ✓حيَّ علىٰ الفلاح، وهي حاشية علىٰ كتاب الإيضاح للشيخ عامر بن علي الشَّمَّاخِي. ✓شرح الدعائم الموسَّع، وهو شرح موسَّع لمنظومة الدعائم لأحمد بن النضر العماني.

✓ترتيب كتاب المعلَّقات لمؤلف مجهول ✓تفقيه الغامر بترتيب لُقَط موسىٰ بن عامر ✓جامع الوضع والحاشية، وكتاب الوضع لأبي زكرياء الجناوني، وحاشيته لمحمد بن عمر أبي سِتَّة المحشِّي ✓حكم الدخان والسَّعُوط، حقَّقه الأستاذ بكير بن يحيىٰ الشيخ بالحاج، في إطار رسالة الماجستير بمعهد أصول الدين بالجزائر ✓شامل الأصل والفرع، ذكر فيه أنه كتبه بعد أن بلغ درجة الاجتهاد ✓شرح الدعائم، شرح منظومة الدعائم لأحمد بن النضر العماني ✓القِنْوان الدانية في مسألة الديوان العانية ✓كتاب التُّحفة والتوأم ✓كشف الكُرَب، ترتيب أبي الوليد، تحقيق: محمد علي الصليبي	

٩- في النحو واللغة والعَروض:

للقطب- عليه رحمة الله- كتاب واحدٌ مطبوع وهو «شرح لامية الأفعال»، والباقي لا تزال مخطوطة، وهي:

- ✓ إيضاح الدليل إلىٰ علم الخليل
- ✓ الحاشية الثانية علىٰ شرح أبي القاسم الداوي، ألَّفها وهو لا يزال يتتلمذ علىٰ أخيه الحاج إبراهيم
- ✓ الكافي في التصريف
- ✓ المسائل التحقيقيَّة في بيان التحفة الآجروميَّة
- ✓ بيان البيان
- ✓ حاشية علىٰ شرح المرادي علىٰ الألفية
- ✓ شرح شرح أبي سليمان داود علىٰ الآجروميَّة
- ✓ شرح شرح الاستعارات لعصام الدين
- ✓ شرح شواهد القزويني
- ✓ شرح شواهد الوضع
- ✓ قصيدة الغريب: نظم متن مغني اللبيب لابن هشام، وهي في خمسة آلاف بيت نظمها وله من العمر ستة عشر عامًا

١٠- في البلاغة:

لـه كتابـان لا يـزالان مخطوطتيـن، وهمـا «تخليـص العـاني مـن ربقـة جهـل المعـاني»، و «ربيـع البديـع في علـم البديـع».

١١- في المنطق:

لـه أيضًـا كتابـان لا يـزالان مخطوطتيـن، وهمـا «شـرح سُـلَّم الأخضـري»، و «إيضـاح المنطـق في بـلاد المشـرق».

١٢- في الطبِّ والفلك والحساب:

لـه كتـاب واحـد مطبـوع وهـو «تحفـة الحِـبِّ في أصـل الطـبِّ»، وثلاثـة كتـب لا تـزال مخطوطـة وهـي: «مطلـع الملَـك في فـنِّ الفَلَـك»، و «مسـلك الفَلَـك»، و «شـرح القلصـادي».

١٣- في الشعر:

لـه قصائـد عديـدة في مواضيـع تربويَّـة ومدائـح ومواعـظ، منهـا ديـوان مطبـوع، والباقـي مخطوطـة وهـي: «قصائـد القطـب»، و «القصيـدة الحجازيَّـة»، و «قصيـدة المعجـزات»، و «قصيـدة بائيَّـة» ضمـن مجمـوع قصائـد، و «قصيـدة بـدر»، ومجمـوع قصائـد وأجوبـة.

١٤- في الخط:

له كتاب مطبوع بعنوان «كِتَاب الرسم».

١٥- مواضيع مختلفة:

له مؤلَّفان مطبوعان هما: «تفسير ألغاز»، و «شرح لغز الماء»، وهو حلٌّ للغزٍ نال به وسامًا عالميًّا، عجز عن حلِّه علماء العالم، وله مؤلَّفان لا يزالان مخطوطان وهما: «خطبتا العيدين»، و «شرح المخمَّسة».

١٦- الأجوبة والردود والفتاوي:

له من الأجوبة والفتاوي عدد هائل، جمع بَعضها الشيخ عمر بن يوسف اليَسْجَني، ولا يزال أغلبها مخطوطًا، ومتفرِّقا بين المكتبات، وتعدُّ مرجعًا فقهيًّا هامًّا، خاصةً في نوازل عصره، منها اثنان مطبوعان، هما: «جواب أهل زوارة»، و «جواب مشايخ مَكَّة»، واثنان مخطوطان، هما: «أجوبة لأهل عُمان»، و «جواب إلىٰ الإمام محمد بن عبد الله الخليلي»[1].

(١) لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية في الجزائر مع وزارة التراث العُمانية جهدٌ مبارَك عظيم؛ يتمثَّل في تجميع أجوبة القطب وتحقيقها وتصنيفها وترتيبها، وسيصدر هذا العمل في ثلاثة أجزاء كبيرة تحت مسمىٰ جوابات القطب (ﷺ تعالىٰ).

١٧- المراسلات:

راسل الإمام القطب علماء من مختلف مدن الجزائر ومن خارجها؛ منها شخصيَّات من البحرين والحجاز وعُمان ومصر وتونس وجبل نفوسة وجربة والجزائر وفاس والقسطنطينيَّة وَبَعض العواصم الأوروبيَّة، ولو جُمعت هذه الرسائل لألَّفت مُجَلَّدات فيها من أنواع العلوم، والأخبار التاريخية الهامَّة، ما يصلح لدراسات أكاديميَّة متخصِّصة، نذكر منها علىٰ سبيل المثال رسالة إلىٰ الوالي العام الفرنسي بالجزائر، مؤرَّخة في ربيع الأول ١٣٠٤هـ بقسنطينة، وهي محفوظة في أرشيف إكس أون بروفونس، ومجموعة رسائل بين القطب والإدارة الاستعماريَّة.

طَرِيقُكَ إلى النَّجَاحِ

يقول د. عائض القرني في كتابه «لا تحزن»[١]:

«إن كثيرًا منا يضطرب عندما يريد أن يتخذ قرارًا، فيصيبه القلق والحيرة والإرباك والشك، فيبقىٰ في ألم مستمر وفي صداع دائم. إن علىٰ العبد أن يُشاور وأن يستخير الله، وأن يتأمَّل قليلًا، فإذا غلب علىٰ ظنه الرأيُ الأصوبُ والمسلكُ الأحسنُ أقدَم بلا إحجام، وانتهىٰ وقتُ المشاورة والاستخارة، وعَزَمَ وتوكَّلَ، وصَمَّمَ وجَزَمَ، ليُنهي حياة التردُّد والاضطراب.

. . .

إن التردُّد فسادٌ في الرأي، وبرودٌ في الهِمة، وخَوَرٌ في التصْميم، وشَتَاتٌ للجُهْد، وإخفاقٌ في السَيْر. وهذا التردُّد مرضٌ لا دواء له إلا العزم والجزم والثبات.

. . .

إنه يجب عليك بعد أن تدرس الواقعة، وتتأمَّل المسألة، وتستشير أهلَ الرأي، وتستخير ربَّ السماوات والأرض، أن تُقْدِمْ ولا تُحْجِمْ، وأن تُنَفِّذَ ما ظهر لك عاجلًا غير آجل».

(١) لا تحزن، القرني، ص ٤٨٣.

مُسَابَقَاتٌ وَأَلْغَازٌ

أسئلة ثقافية عامة[١]:

١- مَن القائل: «اطلبوا الموت تُوهَبْ لكم الحياة» ؟

٢- مَن هو مؤلِّف كتاب «البداية والنهاية» ؟

٣- صحابية قتلت سبعة من الروم في معركة اليرموك، فمَن هي؟

٤- مكث المسلمون في جزيرة صقلية أكثر من ٢٥٠ عامًا، فمَن هو القائد الذي فتحها؟

٥- مَن هو زوج زينب بنت الرسول ﷺ؟

٦- حربٌ دارت رحاها قبل الإسلام في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة العرب بين قبيلتي بكر وتغلب، ولم تضع أوزارها إلا بعد أربعين عامًا من القتال، فما اسم هذه الحرب؟

٧- في أيِّ سورة جاء ذكر غزوة تبوك؟

٨- «الخنساء» لقب لشاعرة عربية مخضرمة، فقدت أبناءها الأربعة في معركة القادسية، واحتسبتهم شهداء عند الله، فما هو اسمها؟

---

(١) الإجابات في صفحة ١٢٢.

٩- مَن هو الصحابي الذي سماه الرسول عليه الصلاة والسلام غسيلَ الملائكة؟

١٠- مَن هو اليهودي المجرم الذي نفَّذ مذبحة الحرم الإبراهيمي، وقتل فيها عشرات المصلين أثناء تأديتهم الصلاة؟

ألغاز[١]:

١- ما هي الكلمة التي إذا نكَّرتها (أي جعلتها نكرة) دلَّت علىٰ شيء مُعرَّف، وإذا عرَّفتها (أي جعلتها معرفة) نكَّرتها ؟

٢- ما نصفُ عُشْر ضِعْفَي عشرة أضعاف الرقم (٢)؟

٣- ما هو الشيء الذي يبيعه صانعه، وشاريه لا يستعمله، ومستعمله لا يراه ؟

٤- ما هو الشيء الذي يكسو الناس وهو عارٍ ؟

٥- ما هو الشيء الذي هو لك ويستعمله الناس أكثر منك ؟

٦- ما تقول في رجل صلىٰ الظهر متوجهًا إلىٰ جهة الشرق، ثم صلىٰ العصر متوجهًا إلىٰ الغرب ولم يسافر (أي لم يخرج من حدود قصر الصلاة في السفر)، ثم صلىٰ المغرب متوجهًا جهة الجنوب، وجميع هذه الصلوات صحيحة؟

(١) فكِّر جيِّدًا، والإجابات في صفحة ١٢٢.

٧- اجتمع ثمانية أشخاص في المسجد لتلاوة القرآن، وبعد انتهاء الجلسة تصافح الجميع، وكلُّ واحدٍ منهم صافح الآخرين جميعهم. والسؤال: كم مرة حدثت المصافحة باليدين بينهم ؟

٨- ما هما العددان اللذان مجموعهما ١٧ وحاصل ضربهما ١٦؟

٩- غرفة بها أربعة أشخاص، وحصل شِجار بين شخصين منهم، فطعن أحدهما الآخر بسكين، فخرج الشخص المطعون من الغرفة وهو ينزف دمًا، وعندما وصل باب الغرفة رأىٰ شرطيًّا واقفًا عند الباب، فقال له: «قتلني سمير»، ثم سقط ميِّتًا، فدخل الشرطي الغرفة، وقبض علىٰ سمير مباشرة، دون أن يسأله عن اسمه، ولم يكن يعرفه من قبل، ولم تكن هناك أية آثار للدماء علىٰ سمير، ولم تكن بيد سمير سكين أو أيَّ شيءٍ يُشير إلىٰ أنه هو القاتل، فكيف عرفه الشرطي ؟

١٠- عرض عليك شخص أن يبيع لك سيارته، وذلك بأن تدفع له في اليوم الأول ريالًا واحدًا فقط، ثم ضعف ذلك (أي ريالين) في اليوم الثاني، ثم ضعف ذلك (أي أربعة ريالات) في اليوم الثالث، وهكذا ولمدة ٣٠ يومًا، تدفع له في كل يوم ضعف المبلغ الذي دفعته له في اليوم الذي قبله، فهل ستوافق؟ ولماذا؟

عِبْرةٌ وَعِظَةٌ

لا تظلم أحدًا، ولا تيأس من ظُلْم الآخرين لك؛ فإن لكل ظالم نهاية، وإن لم يَنَلْ عقوبته في الدنيا، نالها في الآخرة: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، وفي الأمثلة الآتية شواهد على ذلك؛ فهم طواغيت بَغَوْا وتجبَّروا على عباد الله، فكانت نهاياتهم مؤسفة:

▪ قبل أن يقتل الحجاج بن يوسف الثقفي التابعيَّ الجليلَ سعيد بن جُبَيْر بوقت قصير، دعا عليه سعيد وقال: «اللهم لا تسلطه على أحدٍ بعدي»، ثم قال له: «عجبتُ من جرأتك على الله وحلمه عنك»، فكان هلاك الحجاج بعد قتله لسعيد بن جُبَيْر بأيام قليلة، فصار الدود يخرج من معدته، وأخذ يخور كما يخور الثور، ثم مات في حالة مؤسفة، ولم يقتل أحدًا بعد سعيد بن جُبَيْر.

▪ في ١٢ أكتوبر ١٩٧١م نصَّب شاهُ إيران محمد رضا بهلوي احتفالًا بمرور ألفين وخمسمائة سنة على قيام الدولة الفارسية، دعا إليه رؤساء وملوك العالم والأمراء لزيارة مدينة برسبولس الإيرانية، وكان يُخطِّط لتوسيع نفوذه وبسط ملكه على بقعة أكبر من بلده، ثم في ١٦ يناير ١٩٧٩م سُلِبَ سُلطانه بين عشية

وضحاها، وطُرِد من قصوره ودوره ودنياه، ثم في ٢٧ يوليو ١٩٨٠م ماتَ مُشرَّدًا في منفاه في القاهرة، بعيدًا محرومًا مفلسًا، لا يبكي عليه أحد.

▪ حكم شاوشيسكو رومانيا اثنتين وعشرين سنة، وكان حرسُه الخاص يبلغ سبعين ألفًا، ثم بسبب وحشيته وقمعه لشعبه، أحاطَ شعبُه بقصره في ديسمبر ١٩٨٩م، وحاول الفرار مع زوجته، ولكن تم القبض عليهما وإعدامهما فورًا رميًا بالرصاص.

▪ اللواء حمزة البسيوني عسكريٌّ مصريٌّ من الضباط الأحرار، تولىٰ إدارة السجن الحربي في عهد جمال عبد الناصر، فاشتهر بتعذيب سجناء الإخوان المسلمين، وكان يسخر منهم أثناء تعذيبهم، ويقول لهم كلمته البذيئة: «أين إلهكم لأضعه في الحديد؟»، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا، ثم بعد أيام من نكسة ٦٧، صدر القرار الأول بإحالة البسيوني علىٰ المعاش، ثم تم القبض عليه والتحقيق معه فيما هو منسوب إليه من جرائم، ثم سُجِن مع بعض ضحاياه الذين كان يُعذِّبهم. وحسبما كتبه ثروت الخرباوي في جريدة «المصريون» بتاريخ ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٩م تحت عنوان «لنسفعًا بالناصية» فإنه في يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧١م، وكان موافقًا لأول أيام عيد الفطر المبارك، كان حمزة البسيوني مسافرًا من الإسكندرية إلىٰ القاهرة، ومعه شقيقه راكبًا بجواره، فاصطدمت سيارته بإحدىٰ السيارات المحمَّلة بحديد المباني،

فدخل عدد من أسياخ الحديد في جسده، وتعرَّضت جُثَّته لتشويهٍ غريبٍ، حتىٰ إنهم عجزوا عن إخراجه من سيارته إلا قطعًا ممزَّقة.

صَهْيُونِيَّةٌ وَصَلِيبِيَّةٌ

(موقف الغرب من الإسلام[١])

يبني الغرب علاقاته معنا علىٰ أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه:

١- سياسة أمريكا معنا تُخطَّط على هذا الأساس

يقول أيوجين روستو- رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتىٰ عام ١٩٦٧م-:

«يجب أن نُدرِك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدمًا بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطىٰ، وهو مستمرٌّ حتىٰ هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزءٌ مُكمِّلٌ

(١) قادة الغرب يقولون، جلال العالم، ص ٢٤.

للعالـم الغربـي، في فلسـفته وعقيدتـه ونظامـه، وذلـك يجعلهـا تقـف معاديـة للعالـم الشـرقي الإسـلامي، بفلسـفته وعقيدته المتمثلـة في الدين الإسـلامي، ولا تسـتطيع أمريـكا إلا أن تقـف هـذا الموقـف في الصـفِّ المعـادي للإسـلام وإلـىٰ جانـب العالـم الغربـي والدولـة الصهيونيـة، لأنهـا إن فعلـت عكـس ذلـك فإنهـا تتنكَّـر للغتهـا وفلسـفتها وثقافتهـا ومؤسسـاتها». انتهـىٰ كلام روسـتو.

إن روسـتو يُحـدِّد أن هـدف الاسـتعمار في الشـرق الأوسـط هـو تدميـر الحضـارة الإسـلامية، وأن قيـام إسـرائيل هـو جـزءٌ مـن هـذا المخطَّـط، وأن ذلـك ليـس إلا اسـتمرارًا للحـروب الصليبيـة.

٢- الحرب الصليبية الثامنة قادها اللِّنبي

يقـول باترسـون سـمِث في كتابـه (حيـاة المسـيح الشـعبية): «بـاءت الحـروب الصليبيـة بالفشـل، لكـن حادثًـا خطيـرًا وقـع بعـد ذلـك، حينمـا بعثـتْ إنجلترا بحملتهـا الصليبيـة الثامنـة، ففـازتْ هـذه المـرة، إن حملـة اللِّنبـي علـىٰ القـدس أثنـاء الحـرب العالميـة الأولـىٰ هـي الحملـة الصليبيـة الثامنـة، والأخيـرة». انتهـىٰ كلام سـمِث.

لذلـك نشـرت الصحـف البريطانيـة صـور اللِّنبي، وكتبـت تحتهـا عبارتـه المشـهورة التـي قالهـا عندمـا فتـح القـدس: «اليـوم انتهـتْ الحـروب الصليبية». ونشـرت هـذه الصحـف خبـرًا آخـر يُبيِّـن أن هـذا

الموقف ليس موقف اللِّنبي وحده، بل موقف السياسة الإنجليزية كلها، قالت الصحف: «هنَّأَ لويد جورج- وزير الخارجية البريطاني- الجنرال اللِّنبي في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها لويد جورج الحرب الصليبية الثامنة».

٣- والفرنسيون أيضًا صليبيون

فالجنرال غورو عندما تغلَّب علىٰ جيش ميسلون خارج دمشق توجَّه فورًا إلىٰ قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه وقال له: «ها قد عُدْنا يا صلاح الدين». ويُؤكِّد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو- وزير خارجية فرنسا- عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم: «إنها معركة بين الهلال والصليب».

٤- وقالوا عام ١٩٦٧م بعد سقوط القدس

قال راندولف تشرشل: «لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلمَ المسيحيين واليهود علىٰ السواء. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إن القدس قد خرجت من

أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلىٰ القدس اليهودية ،ولن تعود إلىٰ المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود».

٥- والصهاينة أيضًا

عندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام ١٩٦٧م تجمْهَر الجنود حول حائط المبكىٰ، وأخذوا يهتفون مع موشىٰ دايان:

هذا يومٌ بيوم خيبرَ ... يا لِثاراتِ خيبرَ

وتابعوا هتافهم باللغة العامية:

حُطُّوا المشمش عالتفاح، دين محمد ولىٰ وراح

وهتفوا أيضًا:

محمد مات .. خلَّف بنات

كل ذلك دعا الشاعر السوداني محمد الفيتوري إلىٰ تنظيم قصيدته الرائعة مخاطبًا نبينا محمدًا ﷺ:

يا سيدي ..

عليك أفضل الصلاة والسلام ..

من أمة مُضاعة ..

تقذفها حضارة الخراب والظلام

يا سيدي ... منذ رَدَمْنا البحر بالسدود ..

وانتصبتْ بيننا وبينك الحدود ..

متنا ..

وداستْ فوقنا ماشيةُ اليهود ..

٦- واستغلت إسرائيل صليبية الغرب

خرج أعوانها بمظاهرات قبل حرب الـ ١٩٦٧م تحمل لافتات في باريس، سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر، وكُتِبَ علىٰ هذه اللافتات، وعلىٰ جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما: «قاتلوا المسلمين».

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط ... كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدات كتبت عليها «هزيمة الهلال» بيعت بالملايين ... لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة، وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين.

أَفْلاكٌ وَمَجَرَّاتٌ[١]

إن من الأُسُس التي ساعدت على وضع نظرية أو تصوُّر يوضِّح تكوُّن الكون هو مبدأ يعرف بالمبدأ الكوني (Cosmological Principle)، والذي ينصُّ على أن الكون متجانسٌ (homogeneous) ومتوحِّد الخواص (isotropic)، وهذا يعني أن المادة والطاقة واحدة، وتَوزُّعها في الأبعاد المكانية والزمانية واحد، وأن خواصها واحدة من أيِّ جهة كانت.

من هنا نستطيع أن نأخذ نظامًا مُعيَّنًا كالكون الذي توصَّلت له أرصادنا ونقوم بدراسته، ومَن ثَمَّ نُعمِّم نتائج هذا الجزء على الكل أو الكون كله بسبب هذا المبدأ، فتكون جميع المجرات التي نرصدها تبتعد عنا، ولو قمنا بذلك من أيِّ مكان في الفضاء لوجدنا أنها تبتعد وتسري في الفلك إلى ما شاء الله.

١- الانفجار العظيم (Big Bang)

يعتقد معظم العلماء أن الكون قد نشأ من الانفجار العظيم

(١) أصل الكون، منتديات ستار تايمز، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٢١م على الرابط الآتي:

https://www.startimes.com/?t=13210147

الذي وُضِعتْ نظريته في عام ١٩٣٣م، والذي يُعتقَد بأنه حدث منذ ١٥ مليار عام.

تقول النظرية: بأن الكون قد بدأ ضئيلًا جدًّا وحارًّا، وهو ما يُعرَف بكرة النار (primeval fireball)، وهي حالة بلغت غاية الحرارة والكثافة، تمدَّد بسببها الكون بسرعة كبيرة جدًّا بانفجار عنيف يُعرَف بالانفجار العظيم؛ حيث حينها بدأ الكون المحسوس وأصبحت جميع القوانين الفيزيائية المعروفة اليوم قابلة للتطبيق.

ولقد أحدث هذا الانفجار تمدُّدًا عظيمًا للمادة والإشعاع، ثم بعد ذلك أخذت المادة تبرد تدريجيًّا، وفي غضون ثوانٍ تكوَّنت النيترونات والإلكترونات والبروتونات، التي اتَّحَدَتْ لتُكوِّن ذرة الهيدروجين. بعد ذلك اندمجت البروتونات لتُكوِّن ذرة الديوتريوم، وهو الهيدروجين الثقيل، وتكوَّن معه الهِليوم، فتكوَّنتْ قُلوب المجرات والنجوم التي تُكوِّن الكون الذي نعرفه اليوم.

ومن الأدلة التي تحاول إثبات صدق هذه النظرية ما يُعرف بالخلفية الكونية (cosmic background radiation)، وهو الإشعاع المتبقي من الانفجار العظيم والذي برد مع مرور السنين حيث إنه لا يزيد عن بضع درجات فوق الصفر المطلق (كلفن)، وهو يصل إلىٰ الأرض علىٰ هيئة أمواج راديوية قصيرة (short radio).

وفي سنة ١٩٦٥م تمكَّن كلٌّ من العالـمَيْن آرنو بنزياس وروبرت ويلسون من رصد إشعاع الخلفية الكَونية الميكروي (Cosmic Microwave Background) أو اختصارًا CMB، وهو الشعاع الوحيد المتبقي من عملية نشوء الكون، ويُقدِّم هذا الاكتشاف المهم دليلًا قويًّا محتملًا علىٰ أن الكون توسَّع وتمدَّد نتيجةً لانفجارٍ أوليٍّ عنيف يسمىٰ الانفجار العظيم، وبهذا اكتشفوا الإشعاع الذي تنبَّأت به نظرية الانفجار العظيم، وهو إشعاع كرة النار.

٢- اتساع الكون

وبعد الانفجار العظيم وتكوُّن المجرات والنجوم، أخذت هذه الأجرام بالابتعاد عن مركز الانفجار بسرعة كبيرة، وانطلقت في رحاب الكون كما يقول الله تعالىٰ في كتابه الحكيم: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[الذاريات:٤٧]. ولقد اكتشف العلماء في هذا القرن بعضًا من الأدلة والبراهين التي تُثبت اتساع هذا الكون، وهو انزياح الضوء نحو الأحمر؛ فالموجة المنضغطة والمرتصة زرقاء، والموجة الممتدة حمراء، وفيما بينهما ألوان الطيف فيما يعرف بانزياح دوبلر، فعندما درس العلماء بعض هذه المجرات وجدوا أنها تنزاح نحو الأحمر، وهذا يعني أن هذه المجرة تبتعد عنا، وكلما كانت المجرة أسرع زاد انزياحها نحو اللون الأحمر.

٣- التقلُّص أو الانكماش العظيم

تتنبأ بعض النظريات أن هذا الاتساع في الكون لن يستمر إلىٰ الأبد، بل إنه سيبدأ بالتقلُّص والانكماش؛ حيث تتباطأ سرعة هذا الاتساع بتناسب عكسيٍّ مع الزمن إلىٰ أن يتوقف، ثم يعود فينكمش وهكذا إلىٰ أن يصل إلىٰ كرة النار، ثم يحدث انفجار عظيم آخر، مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤]. ويُعرَف هذا السيناريو أو النموذج بالكون المتأرجح (oscillating universe)، فبذلك يحدث انفجار أعظم آخر، ثم يعود لينكمش من جديد، وهكذا دواليك.

قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ(١)

كان المعتمد بن عباد قد تولىٰ أشبيلية في الأندلس بعد وفاة أبيه سنة ٤٦١هـ، وكان أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلادًا، فأصبح مقصد الأمراء والعلماء والشعراء، وذات يوم رأتْ زوجته اعتماد الرُّمَيْكِيَّة في أشبيلية مجموعة من النساء يَبِعْنَ اللبن في القِرَب وهُنَّ يخُضْنَ في الطين، فقالت له: أشتهي أن أفعل أنا وجواريَّ مثل هؤلاء النساء، فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد، وصيَّر الجميع طينًا في القصر، وجعل لها قربًا وحبالًا من إبريسم، وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين.

ثم بعد ذلك ضعف حُكْمه، وأنهكته الفتن، فصار يُؤدِّي الضريبة للأذفونش ملك الإفرنج، ولما مَلَكَ الأذفونش طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعًا في أخذ بلاده، وأرسل إليه يتهدَّدُه ويقول له: «تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل»، فضرب المعتمد الرسولَ وقتل مَن كان معه، فبلغ الخبر للأذفونش وهو متوجِّه لحصار قرطبة، فرجع إلىٰ طليطلة لأخذ آلات الحصار.

فلما سمع مشايخ الإسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا:

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج ٥، ص ٢٨، مع بعض الزيادات.

«هـذه مـدن الإسـلام قـد تغلَّـب عليهـا الفرنـج، وملوكنـا مشـتغلون بمقاتلـة بعضهـم بعضًـا، وإن اسـتمرت الحـال مَلَـكَ الفرنـج جميـع البـلاد»، فاجتمـع رأيهـم علـىٰ أن يكتبـوا إلـىٰ الأميـر يوسـف بـن تاشـفين أمير مَرَّاكِـش يستنجدونه، وأقنعوا المعتمد بن عباد بذلك فكاتـب ابـن تاشـفين، فجـاء ابـن تاشـفين إليـه في عشـرة آلاف مقاتـل، وتسـامع المسـلمون بذلـك، فخرجـوا مـن كل البـلاد طلبًـا للجهـاد، وبلـغ الأذفونـش الخبـر وهـو بطُلَيْطِلَـة، فرجـع في أربعيـن ألـف فـارس غيـر مـا انضـم إليـه، وكتـب الأذفونـش إلـىٰ الأميـر يوسـف كتابًـا يتهـدَّده، وأطـال الكتـاب، فكتـب يوسـف الجـواب في ظهـره: «الـذي يكـون سـتراه» وردَّه إليـه. فلمـا وقـف عليـه ارتـاع لذلـك وقـال: «هـذا رجـل عـازم».

سـار الجيشـان والتقيـا في مـكان يقـال لـه الزَّلاقـة، والمعركـة سُـمِّيَتْ باسـم هـذا المكان [أي معركـة الزَّلاقة]، وتُعتبـر هـذه الواقعة مـن أشـهر الوقائـع؛ حيـث انتصـر المسـلمون وهـرب الأذفونـش بعـد اسـتئصال عسـاكره، ولـم يَسْـلَمْ معـه سـوىٰ نفـرٌ يسـير. وثبـت المعتمـد في ذلـك اليـوم ثباتًـا عظيمًـا، وأصابتـه عـدة جراحـات في وجهـه وبدنـه، وشـهد لـه بالشـجاعة، وغنـم المسـلمون دوابهـم وسـلاحهم.

ورجـع الأميـر يوسـف بـن تاشـفين إلـىٰ مَرَّاكِـش، وقـد أعجبـه حُسْـنُ بـلاد الأندلـس وبهجتهـا ومـا بهـا مـن المبـاني والبسـاتين والمطاعـم وسـائر أصنـاف الأمـوال التي لا توجـد في مَرَّاكِـش ، وجعـل

خـواص الأميـر يوسـف يُعظِّمـون عنـده بـلاد الأندلـس ويُحسِّـنون لـه أخذهـا، ويُغـرُون قلبـه علىٰ المعتمـد بأشـياء نقلوهـا عنـه، فتغيَّـر عليـه وقَصَـدَه، فوصـل إلىٰ إشـبيلية وبهـا المعتمـد، فحاصـره أشـد محاصـرة. وبعـد أيـام، هجـم عسـكر الأميـر يوسـف علىٰ البلد، وشـنُّوا فيـه الغـارات، ولـم يتركـوا لأحـدٍ شـيئًا، وخـرج النـاس مـن منازلهـم يسـترون عوراتهـم بأيديهـم، وقُبِـض علىٰ المعتمـد وأهلـه.

ولمـا أُخِـذ المعتمـد قيَّـدوه مـن سـاعته، وجعلـوه مـع أهلـه في سـفينة، وأمـر ابـن تاشـفين بإرسـال المعتمـد إلىٰ مدينـة أَغْمـات، وسـجنه بهـا. ودخـل عليـه يومًـا بناتـه السـجن، وكان يـوم عيـد، وكُـنَّ يغزلْـن للنـاس بالأجـرة في أَغْمـات، حتىٰ إن إحداهُـنَّ غزلـتْ لبيـت صاحـب الشـرطة الـذي كان في خدمـة أبيهـا وهـو في سـلطانه، فرآهُـنَّ في أطمـارٍ رثـة وحالـةٍ سـيئة، فَصَدَعْـنَ قلبـه وأنشـد:

فـيـما مَضىٰ كُنتَ بِالأَعيادِ مَسرورا ... فَسَاءَكَ العيدُ في أَغْماتَ مَأْسُورا

تَـرىٰ بَـناتَكَ في الأَطْمارِ جائِعَةً ... يَغْزِلنَ لِلناسِ ما يَملِكْنَ قَطميرا

بَـرَزْنَ نَـحْـوَكَ لِلتَسليمِ خاشِعَةً ... أَبـصـارُهُـنَّ حَـسِـراتٍ مَـكـاسـيرا

يَطَـأنَ في الطيـن وَالأَقـدامُ حافيَـةٌ ... كَـأَنَّهـا لَم تَـطَـأْ مِسكًا وَكـافورا

أَقْوَالٌ مَشْهُورَةٌ

بعض ما قيل في الإخلاص:

✓ يقول أبو البقاء الكَفَوي[١] في كتابه الكليات: «الإخلاص: هو القصدُ بالعبادة إلىٰ أن يعبدَ بها المعبودَ وحده، وقيل: تصفيةُ السِّرِّ والقولِ والعملِ».

✓ وقال إبراهيم بن أدهم[٢]: «الإخلاص: ألَّا تطلب لعملك شاهدًا غير الله».

✓ وقال أبو عثمان المغربي[٣]: «الإخلاص: نسيان رؤية الخلق

(١) هو أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكَفَوي، الملقب بأبي البقاء، من قضاة المذهب الحنفي، ولد في مدينة كَفَه بالقرم، ودرس الفقه وعلوم اللغة العربية وضلع فيها، واستلم الإفتاء والقضاء في مدينته بعد موت أبيه، ثم استلم القضاء في القدس وفي بغداد. قام السلطان محمد خان بنفيه إلىٰ مدينته كَفَه، فأقام فيها اثنىٰ عشر عامًا، ثم جُلب بعدها إلىٰ إسطنبول واستلم القضاء فيها.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي، أحد علماء أهل السنة البارزين، من أهل بلْخ في أفغانستان، وكان من أبناء الملوك والمَياسير، ثم ترك طريقته في التزيُّن بالدنيا، واتَّجه إلىٰ طريقة أهل الزهد والتصوُّف، وخرج إلىٰ مكة، وصحب فيها سفيان الثوري والفُضيل بن عِياض، ثم توجَّه إلىٰ الشام، فكان يعمل فيها، ولا يأكل إلا من عمل يده.

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي القيرواني، أحد علماء أهل السنة، ومن أعلام التصوُّف في القرن الرابع الهجري، أصله من ناحية القيروان في تونس، وأقام بالحرم المكي مدة، صحب فيها أبا علي بن الكاتب وحبيبًا المغربي وأبا عَمْرو الزجاجي، ثم قَدِم إلىٰ نيسابور.

بدوام النظر إلىٰ الخالق، ومن تزيَّن للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله تعالىٰ».

✓ وقال حنيفة المرعشي[١]: «الإخلاص: استواءُ أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء: أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه، والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره».

✓ وقال الجُنَيْد[٢]: «الإخلاص سرٌّ بين الله وبين العبد، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده، ولا هوًىٰ فيُميله».

(١) هو حُذَيْفَة بن قَتَادَة المرعشي من العُبَّاد، سكن أنطاكية، صحِب سفيان الثوري وروىٰ عنه، ويروي أيضًا عن أبي إسحاق الفَزارِيّ.

(٢) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، سيِّدٌ من سادات الصوفية وعَلَمٌ من أعلامهم، وعدَّه العلماء شيخ مذهب التصوُّف، أصله من نهاوند من مدن كردستان، إلا أن مولده ومنشأه ووفاته ببغداد، وُلِد ببغداد سنة ٢١٥ هـ ونشأ فيها، وصحب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله سري السقطي والحارث المحاسبي، ودرس الفقه علىٰ أبي ثور، وكان يفتي في حلقته وهو ابن عشرين سنة.

كَلِمَاتٌ وَمَعَانٍ

- **الحجابة أو السِّدانة:**

منصب السدانة أو الحجابة هو أن يكون مفتاح الكعبة بيد مَن يتولىٰ هذا المنصب، فهو يفتح بابها للناس ويغلقه.

- **السقاية:**

يعني سقاية زمزم، وكانوا قبل الإسلام يصنعون في موسم الحج من ماء زمزم شرابًا للحجاج، ويمزجونه تارة بعسل، وتارة بلبن، وتارة بنبيذ، يتطوَّعون بذلك من عند أنفسهم.

- **الرفادة:**

طعام كانت قريش تصنعه كل عام لأهل الموسم [أي موسم الحج]، ويقولون: هم أضياف الله تعالىٰ، فيأكله مَن لم يكن له سعةٌ ولا زادٌ، وقد بدأ الرفادة قُصَيُّ بن كلاب جدُّ نبينا المصطفىٰ ﷺ الخامس، واستمر في بنيه.

- **الندوة:**

تعني الاجتماع للمشورة والرأي، وكانت تُعقَد في الدار التي اتخذها قُصَيُّ بن كلاب، لذلك يقال لها «دار الندوة»، وصارت الدار بعده في بني عبد الدار بن قُصَيٍّ، ثم انتقلت إلىٰ بني عبد

العزىٰ بن قُصَيٍّ، فباعها حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قُصَيٍّ في زمن معاوية بمائة ألف درهم، فلامه معاوية في ذلك، وقال: «أَبِعْتَ مكرمة آبائك وشرفهم؟»، فقال حكيم: «ذهبتْ المكارم إلا التقوىٰ، والله لقد اشتريتُها في الجاهلية بزِقٍّ خمرٍ، وقد بعتُها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله، فأيُّنا المغبون؟»

- اللواء:

يعني حمل الراية في الحرب، لأنه كان لا يحمله معهم إلا قوم مخصوصون.

وقد كانت هذه الخمسة في بني عبد الدار بن قُصَيْ بن كلاب، ثم نازعهم عليها بنو عبد مناف بن قُصَيْ، فانتقلت السقاية والرفادة في بني عبد مناف إلىٰ أن جاء الإسلام[1].

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ط ٢، دار المعرفة، ص ١٣٢ و ١٣٧.

غِذَاءُ العُقُول

يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[١]:

«وقد كان من نتائج إهمال العقل وتعطيل ملَكَاته في تشخيص المراد من نصوص الوحي الوقوع في تناقضات غريبة، أدَّت بأصحابها إلىٰ تجاهل مُحكَمات الآيات، والانسياق وراء المتشابهات، فوصفوا الله ﷻ بصفات خلقه، متجاهلين نصوص تنزيهه ﷻ عما لا يليق بكماله، كما أدىٰ بهم الشَّطَط إلىٰ ركوب الصعب، والهيام في التناقض التي تبرأ ساحة الشرع عنه، ولا أريد أن أطيل في ضرب الأمثلة بما وقعوا فيه من شقاق بعيد، فقد بسطتُ ذلك في محله مما كتبته أو ألقيته.

وفي مقابل هؤلاء نجد الذين أفرطوا في تقدير العقل غاصوا في أعماقٍ ما كانت لهم درايةٌ ولا طاقةٌ بالعوم فيها؛ فوقعوا في ضُروبٍ من الحيرة أدَّت بهم إلىٰ اضطراب عجيب في الفهم، ناهيك أن اللَّجاجة وصلت بهم إلىٰ التعويل المطلق علىٰ العقل في مجال التشريع، وما كان للشرع عندهم من وظيفة إلا بيان مضامين العقل أو تأكيدها، وقد كان علىٰ رأس هؤلاء أصحاب واصل بن عطاء.

أما الذين وُفِّقوا للأخذ بحُجزة الشرع مع الاستبصار ببصيرة

(١) العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع، الخليلي، ص ١٧-١٩.

العقل في استلهام الحقائق فقد استمسكوا بالعروة الوثقىٰ، التي لا انفصام لها فعادوا بكلتا الحسنَيَيْن عندما أخذوا بكلتا الهدايَتَيْن، فلم يُحمِّلوا العقل فوق طوقه ولم يقصُروه دون طوره، كما أنهم لم يختلقوا صِدامًا بينه وبين الشرع، إذ عرفوا أن سبيلهما واحد، وأن هدايتيهما تخرجان من مشكاة واحدة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

أَمْثَالٌ مَشْهُورَةٌ

يقول المثل العربي: لا تطحن الدقيق.

ومثله المثل الإنجليزي: لا تنشُر النِّشارة.

وكذلك المثل السائد في عالم الحواسيب: لا تخترع العجلة.

أي أن الأمور التي فُرِغَ منها وانتهتْ، لا ينبغي أن يُبذل المال والجهد والوقت من أجل إنشائها من جديد، طالما كانت متوفرة وصالحة، وإنما المطلوب الاستفادة منها.

ثَقَافَةٌ عَامَّةٌ

(ماذا تعرف عن تقنية النانو؟[١])

في نهايات القرن الميلادي الماضي وبدايات القرن الحالي برز إلىٰ الأضواء مصطلح جديد ألقىٰ بثقله علىٰ العالم، وأصبح محطَّ الاهتمام بشكلٍ كبيرٍ، هذا المصطلح هو «تقنية النانو». تهتم هذه التقنية بابتكار تقنيات ووسائل جديدة تقاس أبعادها بالنانومتر وهو جزء من الألف من الميكرومتر أي جزء من المليون من الميليمتر، وتقنية النانو هي إحدىٰ مجالات علوم المواد مثل: الفيزياء والهندسة الميكانيكية والهندسة الحيوية والهندسة الكيميائية، وهناك تفرُّعات واختصاصات فرعية متعدِّدة

(١) تقنية النانو وعصرٌ علميٌّ جديد، محمود محمد سليم صالح، مقال نُشِر علىٰ موقع كلية المجتمع - الأفلاج بجامعة الأمير سطَّام بن عبد العزيز، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://cca.psau.edu.sa/ar/node/6590

ضمن هذه العلوم، وجميعها يتعلَّق ببحث خواص المادة على هذا المستوى الصغير.

نماذج لاستخدامات تقنية النانو

هذه التقنية الواعدة تُبشِّر بقفزة هائلة في جميع فروع العلوم والهندسة، ويرى المتفائلون أنها ستُلقي بظلالها على كافة مجالات الطب الحديث والاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية وحتى الحياة اليومية للفرد العادي، فهي- بكل بساطة- ستُمكِّننا من صنع أيِّ شيء نتخيَّله، وذلك عن طريق صفِّ جزيئات المادة إلى جانب بعضها البعض بشكل دقيق لا نتخيَّله، وبأقل كلفة ممكنة، وهذه بعض المجالات التي دخلتها التقنية:

- في المجال الطبي: تمكن العلماء من صنع آلات دقيقة بحجم كريات الدم لعلاج العديد من الأمراض التي تتطلب إجراء العمليات الجراحية مثل: الانسدادات داخل الشرايين، وكذلك الأورام، كما قام الباحث الإيطالي سيلفانو دراغونييري من جامعة باري باختراع أنفٍ إلكتروني باستخدام أنابيب كربون نانوية تعمل على تشخيص أمراض السرطان عن طريق تحليل الهواء الذي يخرج من الرئتين خلال عملية الزفير.
- في مجال الطيران: قامت وكالة الطيران والفضاء الأمريكية

ناسا بصنع آلات دقيقة تعمل بتقنية النانو من أجل حقنها في أجسام رُوَّاد الفضاء، بهدف مراقبة الأوضاع الصحية لأجسامهم، والتعامل معها بشكل فوريٍّ دون إرسال طبيب.

- في مجال الطاقة: إنتاج بطاريات تستطيع تخزين كميات كبيرة من الطاقة ولفترات طويلة، وبالتالي إنتاج سيارات تعمل بالطاقة النظيفة بتكلفة أقلّ، وغير معتمدة علىٰ النفط.

- في مجال الصناعة: صناعة الملابس الذكية التي تعمل علىٰ إنتاج الطاقة، أو إزالة الأوساخ والجراثيم بشكل ذاتي، وكذلك صناعة مواد صلبة تفوق صلابة الفولاذ مع خِفَّة وزنها، وصناعة زجاج طارد للأتربة وغير موصل للحرارة، بالإضافة إلىٰ صناعة شاشات ثلاثية الأبعاد تتميَّز بشفافيتها وقدرتها علىٰ الانثناء.

- في مجال الاتصالات والحواسيب: يتم الآن تصنيع ألياف نانوية بصرية تكون قادرة علىٰ إرسال المعلومات والمكالمات مباشرة دون الحاجة إلىٰ تحويلها من ضوء إلىٰ كهرباء، وبالتالي تزداد سرعة النقل إلىٰ حوالي ١٠٠ ضعف، كذلك يمكن صناعة ليزرات نانوية مما يجعل أجهزة الاتصالات المستخدمة في حجم صغيرٍ جدًّا. كذلك تستخدم الألياف النانوية كقافلات ضوئية في البلورات السائلة في الاتصالات الضوئية، كما أن أنابيب الكربون النانوية تستخدم في صنع ترانزستور الأثر المجالي والقافلات في الحواسيب؛ مما سيؤدي إلىٰ أن يكون زمن القفل أسرع بمقدار ٤١٠ مرة عن المركَّبات العادية.

مَقالٌ صَحَفيٌّ

نشرت صحيفة الوسط البحرينية المقال التالي عن سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي- المفتي العام لسلطنة عمان-، وهو للكاتب محمد عبد الله محمد[١]:

«عندما تقول: هذا شخصٌ ثريٌّ، فإن ذلك ليس سببًا لأن تحترمه؛ فـ «قد» يكون شخصًا متكبرًا لا يعطف علىٰ الضعيف. وعندما تقول: هذا عالمٌ، فإن ذلك ليس سببًا لأن تُجلَّه؛ لأنه «قد» يكون شخصًا متعاليًا سبَّابًا. وعندما تقول: هذا شخصٌ وسيمٌ ووجهه صبوحٌ، فإن ذلك ليس سببًا لأن تُحبَّه، لأنه «قد» يكون بأخلاق فَجَّة سَمِجَة لا يستطيع أحد مجالسته أو التقرُّب إليه أو صُحْبته.

لكن، عندما تقول: هذا رجلٌ متواضعٌ، فإنه وللوهلة الأولىٰ تميلُ النفس إليه، وتجري كيمياءُ الأُلفة معه، ثم تأتي بقية الصفات

(١) في حضرة الشيخ الخليلي، محمد عبد الله محمد، صحيفة الوسط البحرينية، العدد ٤٨٦٧، الأحد ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق له ٣ يناير ٢٠١٦م، تم الاطلاع عليه علىٰ الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٢١م، علىٰ الرابط الآتي:
http://www.alwasatnews.com/news/1064299.html

أو الـمَلَكَات إن وُجِدَت. إذن، التواضُعُ هو عنوانٌ حاسمٌ في ائتلاف النفوس؛ فالتواضع بطبيعته يهدِمُ فظاظةَ الخُلُق، ويزيلُ حُجُبَ النور بين الناس، ليفتح لكَ فُسْحَةَ الأُنسِ بمن تلقاه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، هذه هي القاعدة الإنسانية الأولىٰ.

أقول ذلك، وأنا أُخصِّصُ هذا المقال للحديث عمَّن كانت بوابة محبتي له- كالملايين من الناس في هذا العالَم- هي تواضعُهُ الجَمُّ، وإنسانيتُه العابرة للتمذهُب، وشخصيتُه الوحدَويةُ الجامعة لا الـمُفرِّقة: إنه سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المفتي العام لسلطنة عُمان.

لقد تشرَّفتُ بزيارة الشيخ الخليلي منذ فترة، وخصَّني بوقتٍ وفيرٍ، رغم انشغالاته في مكتب الإفتاء، وتنقُّلاته، التي يجوبُ فيها إحدىٰ وستين ولاية في عُمان، بالإضافة إلىٰ زياراته ومشاركاته الخارجية، حيث إنه شخصيةٌ حدودُ حضورِها وشهرتها العالم كله، شرقًا وغربًا، جنوبًا وشمالًا. وكنتُ قد نَوَيْتُ أن أضعها في موردٍ آخر حتىٰ يحين وقته لكني آثرتُ أن أكتبها الآن، والأُمَّة تعيش آلامها وآمالها بشكل متصاعد.

عندما دخلتُ عليه، استقبلني استقبالًا دافئًا، وبمُحيًّا باسمٍ تكسوهُ الهَيبة، وضيافة شائقة، وكأنه يعرفني منذ زمن. لقد وجدتُه لا يلبس لباسًا يُفرِّقه عن أقل واحد في محيطه؛ يعتمِر عمامةً بيضاء،

ويتلحَّىٰ بها، مع ثوبٍ أبيضَ بدون تكلُّف. هذه هي بساطة لِبْسِه، وهكذا يعيش بمثل ما يدعو إليه.

منذ الوهلة الأولىٰ وجدتُه يُولي كلمة «اهتمام» حقها؛ فعندما هممنا بالجلوس طلب أن يُدْعَىٰ أحد الأعزاء حينها، ممن يعتبره ولدًا له (كما يصفه)، وهو الأخ أحمد الذهلي وكان خارج المكتب، كي يأتيه بكتاب اضطلع الشيخ بتأليفه، كي يُقرئني شيئًا منه قبل أن يُطبَع (حينها). نعم، كان يُولِيَ مَنْ يجلس معه اهتمامًا وكأنه لا يوجَد غير هذا الضيف كي يُسدِيَ له ما يُسديَ من حديث مستطاب.

عندما تجالسه تعرف أنه عالِمٌ بحق، والعالِم يُعرَف بورعه واستقامته وفضائله وبتحقيقه وتدقيقه واجتهاده وفهمه وتصنيفاته وعمله. والشيخ الخليلي يمتاز بذلك، وشَهِدَ له كل مَنْ جالَسَه وحاكاه في العلم والمعرفة، كما أن الاطلاع علىٰ تصنيفاته يكشف لك جانبًا من ذلك العلم الغزير الذي يتمتع به.

وجدتُه صاحبَ حافظةٍ، يستلُّ المعلومةَ من تلابيبها، والكلِمَ من أصله، مع قدرة فائقة علىٰ استحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والحوادث الواقعة في التاريخ، والخطب العصماء ذات السَّبك العربي المتين. وقد تلا عليّ بلا لَجْلَجَة ولا تلعثُم، خطبة طالب الحق وأبي حمزة في المدينة، علىٰ الرغم من صعوبة الألفاظ فيها.

أيضًا، وجدتُه صاحب بداهة في الجواب، تطيعه الذاكرة متىٰ ما طلبها، فتُسرِعُ له الفكرة فيُداني مطالبَ حديثه من خلالها، الأمر الذي جعله قادرًا علىٰ ضَمِّ الدليل إلىٰ الدليل، والمصداق إلىٰ الموضوع بمهارة في أحاديثه المبثوثة في القنوات الفضائية أو التي يلقيها في الندوات والمحاضرات. لذلك تراه يملك قدرة لافتة في النقاش والمناظرة باسترسالٍ سلِسٍ.

كذلك، وجدتُه بليغًا في كلامه، فصيحًا في لسانه (البليغ أخصُّ من الفصيح) ينتقي ألفاظَه كما ينتقي الطيرُ الحبَّ الجيِّدَ من الرديء، وكانت تلك المَلَكَةُ تزيد شخصَه وقارًا وعلمَه جمالًا. وكما قيل: «مَنْ عُرِفَ بفصاحةِ اللسان لَحَظَتْهُ العيونُ بالوقار». لذلك فإنه وما إن يقول قولًا إلاَّ صار صالحًا لأن يُدوَّن في كتاب، وكأنه قد رُوجِعَ مرة أو مرتين، فلا هَنَّاتٌ تُفسِدُ معنىٰ ما يقول، ولا بَتْرٌ يُغيِّره.

ووجدتُه أيضًا صاحبَ إنسانية عابرة للطوائف، وهو الأهمُّ في هذا العصر بالنسبة لعلماء الأمة؛ فالشيخ الخليلي عالِمٌ جامعٌ لا مُفرِّقٌ، يزورُ الجميعَ دون غضاضة، فتراه عند الإباضية إمامًا، وعند السُّنة منارةً، وعند الشيعة عَلَمًا، لا يتأفَّفُ ولا يترك دعوةً إلاَّ ولبَّاها وهو في الـ ٧٣ عامًا، ولا يقول غير الكلام الحسن، ولم يُلوِّث لسانه بتكفير مسلم يشهد الشهادتين، بل دائمًا كان داعيةَ وحدة.

وقد كتب وكيلُ الشؤون العلمية بكلية القانون والعلوم السياسية بجامعة الجبل الغربي في ليبيا خالد سعيد يوسف تفوشيت في إحدىٰ الندوات، بحثًا جميلًا حول التعارف والاعتراف في فكر الشيخ الخليلي، وقد أصاب فيما ذهب إليه؛ فالشيخ لا يؤمن بثقافة الإلغاء ولا الإقصاء، بل هو ذو شخصيةٍ جاذبة لا نافرة كما هو فكره السمح، ورؤيته للأمة.

وهذا الأمر هو ما يجب أن يكون عليه علماءُ الأمة وقادتُها الدينيون إذا ما أردنا لهذه الفتنة الطائفية أن تضع أوزارها. حفظ الله الشيخ الخليلي، وهنيئًا للأمة (لا سلطنة عُمان فقط) أن يكون أحد أعمدة العلم والتسامح فيها».

الإجابات

إجابات الأسئلة الثقافية

١ – أبو بكر الصديق

٢ – ابن كثير

٣– أم حكيم المخزومية

٤ – أسد بن الفرات

٥ – أبو العاص بن الربيع

٦ – حرب البسوس

٧– سورة التوبة

٨– تماضر بنت عمرو بن الحارث

٩ – حنظلة بن أبي عامر

١٠ – جولد اشتاين

إجابات الألغاز

١ – أمس

٢ – (٢)

٣- التابوت

٤- الإبرة

٥- الاسم

٦- كان الرجل يصلي حول الكعبة المشرفة، وكان يُصلي في كل مرة في مكان مختلف حول الكعبة، وكما هو معلومٌ فلا بُدَّ أن يتوجَّه إلىٰ الكعبة في صلاته بغضِّ النظر عن مكانه في المسجد الحرام.

٧- حدثت المصافحة باليدين ٢٨ مرة؛ الأول صافح سبعة آخرين، والثاني صافح ستة آخرين، وهكذا، أي أن عدد مرات المصافحة = ٧ + ٦ + ٥ + ٤ + ٣ + ٢ + ١ = ٢٨

٨- العددان هما: (١) و (١٦): حاصل جمعهما: ١٦ + ١ = ١٧، وحاصل ضربهما: ١٦ × ١ = ١٦

٩- كان الشخصان الآخران فتاتين

١٠- إنك إن وافقتَ علىٰ شراء السيارة بالطريقة الموصوفة في اللغز، فإنك ستدفع له ما مجموعه: مليار و ٧٣ مليون و ٧٤١ ألف و ٨٢٣ ريالًا، والجدول الآتي يُبيِّن ذلك:

اليوم	المبلغ المدفوع يوميًّا	المجموع التراكمي للمبلغ المدفوع
١	١	١
٢	٢	٣
٣	٤	٧
٤	٨	١٥
٥	١٦	٣١
٦	٣٢	٦٣
٧	٦٤	١٢٧
٨	١٢٨	٢٥٥
٩	٢٥٦	٥١١
١٠	٥١٢	١,٠٢٣
١١	١,٠٢٤	٢,٠٤٧
١٢	٢,٠٤٨	٤,٠٩٥

اليوم	المبلغ المدفوع يوميًّا	المجموع التراكمي للمبلغ المدفوع
١٣	٤,٠٩٦	٨,١٩١
١٤	٨,١٩٢	١٦,٣٨٣
١٥	١٦,٣٨٤	٣٢,٧٦٧
١٦	٣٢,٧٦٨	٦٥,٥٣٥
١٧	٦٥,٥٣٦	١٣١,٠٧١
١٨	١٣١,٠٧٢	٢٦٢,١٤٣
١٩	٢٦٢,١٤٤	٥٢٤,٢٨٧
٢٠	٥٢٤,٢٨٨	١,٠٤٨,٥٧٥
٢١	١,٠٤٨,٥٧٦	٢,٠٩٧,١٥١
٢٢	٢,٠٩٧,١٥٢	٤,١٩٤,٣٠٣
٢٣	٤,١٩٤,٣٠٤	٨,٣٨٨,٦٠٧
٢٤	٨,٣٨٨,٦٠٨	١٦,٧٧٧,٢١٥

اليوم	المبلغ المدفوع يوميًّا	المجموع التراكمي للمبلغ المدفوع
٢٥	١٦,٧٧٧,٢١٦	٣٣,٥٥٤,٤٣١
٢٦	٣٣,٥٥٤,٤٣٢	٦٧,١٠٨,٨٦٣
٢٧	٦٧,١٠٨,٨٦٤	١٣٤,٢١٧,٧٢٧
٢٨	١٣٤,٢١٧,٧٢٨	٢٦٨,٤٣٥,٤٥٥
٢٩	٢٦٨,٤٣٥,٤٥٦	٥٣٦,٨٧٠,٩١١
٣٠	٥٣٦,٨٧٠,٩١٢	١,٠٧٣,٧٤١,٨٢٣

المراجع

١- أثرُ الفكر الإباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، محمود بن مبارك بن حبيب السليمي، الناشر: مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢- أشجان الموت وأشواق الشهادة، محمد عمر دولة، الطبعة: الأولىٰ (نسخة إليكترونية)، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٣- أشهر الخونة والمفسدين في تاريخ الأمة، علي عبد الحميد أبو الخير، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، ١٩٩٩م.

٤- أفضل ديمقراطية يستطيع المال شراءَها، جريج بالاست، ترجمة: مركز التعريب والبرمجة بدمشق، الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٥- إلا تنصروه، راغب السرجاني، الناشر: دار اقرأ للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولىٰ: ٢٠٠٦م.

٦- الأسس التربوية في ضوء القرآن الكريم، محمد بن عبد الله الأنصاري، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٧- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨- الدعاء، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٩- السيرة النبوية، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

١٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء، سلطنة عمان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

١١- العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع، أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٢- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٣- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٤- الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، المعروف بابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

١٥- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،

مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٧- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١٨- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٩- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفىٰ: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفىٰ: ٨٥٠هـ)، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٦هـ.

٢١- قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم (عبد الودود يوسف الدمشقي) (المتوفىٰ: ١٤٠٣هـ)، تاريخ النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٤م.

٢٢- لا تحزن، عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٤م.

٢٣- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٤- معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب الإسلامي)، محمد بن موسىٰ باباعمي وآخرون، الناشر: جمعية التراث، غرداية، الجزائر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٥- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقَّب بفخر الدين الرازي، خطيب الرَّيْ (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.

٢٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٤م.